

دار النهضة العربية




د. مأمون طربيه

# السلوك الطائفي

## الإنجذاب والنفور تجاه الآخر

لبنان نموذجاً

# السلوك الطائفي

## (الإنجذاب والنفور تجاه الآخر)

# السلوك الطائفي

## (الإنجذاب والنفور تجاه الآخر)

د.مأمون طربيه



دار النهضة العربية

| | |
|---|---|
| رقم الكتاب | :13101 |
| اسم الكتاب | :السلوك الطائفي (الإنجذاب والنفور تجاه الآخر) |
| المؤلف | :د. مأمون طربيه |
| الموضوع | :علم اجتماع |
| رقم الطبعة | :الأولى |
| سنة الطبع | :2014م. 1435هـ |
| القياس | :14 × 20 |
| عدد الصفحات | :172 |

**منشورات : دار النهضة العربية**

**بيروت ـ لبنان**

بيروت ـ شارع الجامعة العربية ـ مقابل كلية طب الاسنان

بناية إسكندراني رقم 3 ـ الطابق الأرضي والاول

تلفون : 854161 ـ 1 ـ 961 +

فاكس : 833270 ـ 1 ـ 961 +

ص ب : 0749 ـ 11 رياض الصلح

بيروت 072060 11 ـ لبنان

بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com





ISBN 978-614-402-802-5

## مقدمة

في كتاب سوسيولوجي هام يقول الباحث الالماني تيودور هانف بأن لبنان «يشكل موضوعاً لدراسة تجرييبية حول مشكلة التعايش في دولة تعددية وذلك لسببين : فهو يضم بين سكانه من جهة تجمعات اثنية ومن جهة اخرى طوائف دينية، وخلال أكثر من ثلاثة عقود من الزمن اعتبر هذا البلد نموذجاً لتعايش ناجح وسلمي وديموقراطي، وكان لبنان احدى الدول القليلة خارج اوروبا نجحت فيها ديموقراطية التوافق لكن منذ عقد ونيف من الزمن تحول هذا البلد الى ارهب نموذج مزقته الحرب المقيتة، حتى بدا التحذير من لبننة النزاعات في دول تعددية اخرى فالتعايش السابق والنزاع الحاضر يشكلان موضوعا للبحث يحتاج كل منهما في الواقع إلى تفسير...» يؤشر هذا القول في بعض مدلولاته إلى ما يعتبر سمة من سمات البنية الفسيسفيائية في المجتمعات المتعددة الطوائف

والمذاهب والقوميات والإيديولوجيات مما يجعل السؤال مشروعاً على الدوام: ما هو حال هذه البنية واقعاً لناحية الانسجام والتنافر؟ ما هو مآل التفاعل القائم بين مكونات تلك البنية لجهة التجاذب والنفور**؟**

رغم الإقرار بنواحي التبادل الحضاري وسبل التفاهم القائمة بين مختلف الاثنيات والجماعات الدينية، إلا أنه لا يمكن أن نغفل عن الآثار المترتبة من استجابات البعض كرد فعل تجاه ما يقوم به الاخرون فيضيع المنطق ويتم التعامل مع الامور وفق سلوك طائفي يتسم بمنحى تعصبي. لاسيما واننا نعيش اليوم موجة من الصراع والكراهية تسود بين الجماعات والقوميات المختلفة التي تصل ببعضها الى حد التصريح بأستخدام العنف،**.... بعدما اخذنا نلاحظ** تحرك العالم الآن نحو مرحلة يمكن ان نسميها مرحلة "الصراع بين الجماعات" إذ انفلتت فيها حياتنا اليومية أمام ما يطلق عليه منظرو ما بعد الحداثة مصطلح "عالم الفوضى" لما بتنا نشهده من غياب لأنماط الحياة المستقرة ومعايير السلوك.

ولعـل تداعيـات هـذا الـصراع تعـود إلى أسـباب كثـيرة منهـا مـا هـو سـياسي ومنهـا مـا هـو اقتصـادي ومنهـا مـا هـو تربـوي ومنهـا مـا هـو إجتماعـي - تاريخـي.. إلا أن أكثرهـا خطـورة

عندما يكون لسبب ديني - عقائدي صرف وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن الاواليات النفسية والاجتماعية التي تعمل على إظهار حالات التنافر والتجنب، وفي سبيل ذلك تمت المقاربة عبر أستطلاعات رأي ووقائع إعلامية ومعطيات بيانية وفق مقاييس بحث معروفة. على نحو ما سوف نعرضه في محورين رئيسيين:

- **محور أول يتعلق بــ: الأنا والآخر الطائفي خلال عشر سنوات: مراوحة التقارب والنفور**
- **محور ثانٍ بعنوان: الاتجاه التعصبي والمزاج اللبناني: الشعارات الجدارية والمواقع الإلكترونية نموذجاً**

من نافل قول الباحث الألماني ثمة توصيف لحالة لبنانية يتروح فيها التعايش السلمي مع الرفض المضمر للاخر الطائفي، فهل يمكن الأخذ بأفتراضه حول وجود رفض مضمر للآخر الطائفي؟ هذا ما سيحاول كتابنا الإشارة إليه....

د.مأمون طربيه

بيروت: آذار ـ 2013

**"بتنا اليوم فريقان بل حزبان: حزب رسم دائرة صغيرة وقال هذي هي دائرتنا، وكل من كان على غير مذهبنا هو خارج الدائرة، وحزب رسم دائرة كبيرة حول الدائرة الصغيرة وقال هذه هي بلادنا.. فأي المبداين اصح: المبدأ الأول مبني على الفكرة الطائفية التي ترى الحق في غير الاعتدال.. والمبدأ الثاني مبني على الفكرة الاجتماعية السديدة التي ترى أن لا حياة للشعوب المستضعفة الا بالاتحاد"**

عن الكاتب اللبناني أمين الريحاني (1956)

# المحور الأول

## اللبنانيون والسلوك الطائفي في عشر سنوات:

## مراوحة التقارب والنفور

(استطلاعات رأي متتابعة 2002ـ2007ـ2012)

## *مدخل:

ما أن يذكر لبنان في المنتديات الثقافية والسياسية والا ويسارع المنتدون الى اعتباره النموذج الحضاري لتعايش مختلف الطوائف، فهو على صغر مساحته يضم اكثر من ثمانية عشر طائفة ومذهباً، موزعين في مدنه وقراه وسواحله وجباله وأوديته وسهله، قد يفتخر اللبناني بمثل هذا التنوع في بلده لما تتميز به كل طائفة، كل جماعة، كل أقلية من عادات مختلفة في الطعام والأزياء والإحتفالات وفق ما يعرف بـ**3F** (food/fashion/festivals) مما يجعل الواقع الاجتماعي غنيٌّ بذاته، إلا أن الغرابة في الامر حينما تقف لترصد"عمق" العلاقة القائمة بين تلك الاثنيات في مساراتها المتوافقة حينا والمتعارضة حينا آخر في متصل يصل بحديه التناقضي: بين تقبل حميمي ورفض مطلق للآخر، بين تفاعل وتواصل مشبع بالود والتقدير وبين نفور مشوب بالاشمئزاز، لأجل ذلك تساءلنا فيما هي عليه حقيقة: ما الذي يميز هذا الواقع

من علاقات؟ كيف يتواصل أبناء هذه الاثنيات؟ هل من السهل ان تبني علاقة مودة أو تعلن عن ما تكنُّه للآخر من مشاعر (بنوعيها الجيدة والبغيضة)؟ وبتساؤل اكثر تحديداً: كيف يمكن أن نوّصف الاختلاف والتنوع الموجودين في المجال اللبناني؟

علماء اجتماع الأثنيات وأخصهم الكندي ميرتون وينفليدز **MERTON WEINFELDS** ميّز عند تناوله للتباين الأثني في الجماعات المختلطة بين: التنوع الناعم (soft diversity) والتنوع القاسي (hard diversity) في الأول هناك التنوع الثقافي المادي واللامادي لجهة الطعام/الموسيقى/ الفن/الأعياد وسمات ثقافية أخرى كفيلة بأظهار الوجه التمايزي لأية جماعة اثنية ولما يمكن ان تضيفه من "لمسة حضارية" على حياة المجتمع الذي تعيش فيه[1]، وكثيراً ما تفخر دولاً مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا وسويسرا وألمانيا وفرنسا بأن لديها تنوعاً إنثروبولوجيا ناعماً ناشئ من تعايش الاثنيات المتعددة على أراضيها مما يجعلها موئلاً حضارياً تُحترم فيه تقاليد الأقليات وعاداتهم بل ويُعترف بها ككيان عقائدي له رموزه الطقسية الممارسة بكل حرية، وبوجود مؤسسات تكرس عالمها الفعلي من خلال هيئات تعليم

وفرق رياضية وتربية وكشافة وجمعيات ومساعدات خيرية ووسائل إعلام عملا بحرية المعتقد التي كفلتها شرعة حقوق الانسان العالمية.

أما عن النوع الثاني فهو يطال: المعتقدات/ الشعائر/ الطقوس، حيث ليس من السهل عندها ان تتقبل ما يمارسه الآخر من تقاليد احتفالية وممارسات شعائرية، سيما في تقاليد الموت والزواج والولادة وعقائد الدين واركانه. فقد يلتذ احدنا عندما يأكل طعاماً صينياً أو حينما يتذوق طبقا ارمينياً او يُسرّ حينما يشارك كرنفالا كرديا لكن الامر يختلف كثيراً حينما تمس معتقدا او تسفّه رمزا مقدسا او تخترق حُرما او تتجاسر على انتهاك طُقسا، ليس الامر بالسهل بل من الخطورة بمكان عندما تنتقد مسلماً لماذا لا يشرب الخمرة او تدعوه ليأكل لحم خنزير أو تسخّف عليه ايمانه بمعجزة انتقال النبي محمد من مكة المكرمة إلى المسجد الاقصى ثم معراجه إلى السماء في ليلة واحدة (معجزة الإسراء والمعراج)، وكذلك عندما تقول لمسيحي: لماذا لا يُسمح لأبناء ملّتكم إلا بزوجة واحدة، وماذا يعني إيمانه العميق بالظهورات العجائبية! ولآخر من طائفة الموحدين الدروز: لماذا تؤمن بتناسخ الاوراح وتناقلها؟

ولشيعي: لماذا تحييون واقعة كربلاء (مسيرة عاشوراء) بعد ألف سنة؟ ولأرمني: لماذا تصرون على التزاوج من أبناء جلدتكم وملتكم ولكنفوشيوسي: أيّة سخافة تلك ان تعبدوا امواتكم وروح اجدادكم الاقدمين، ولهندوسي: لماذا تحرقون جثث موتاكم وتوقدون النار في كل مناسباتكم، وليهودي: ما وجه الحرمة في العمل نهار السبت ولماذا تُعتبر كل من تتزوج خارج ملتكم زانية وفاجرة وغيرها من الامثلة يصبح فيها الاعتزاز على مستوى التنوع الناعم بالدرجة ذاتها من الحذر على مستوى التنوع القاسي إنْ أنت سفهّت وجدّفت. حيث مع الاول قد تبدي نوعا من المرونة، الاعجاب، التقدير، بينما مع الثانية قد لا يروقك الامر ولكنك ملزما احترامها وعدم مجاسرتها. مع مقومات التنوع الناعم هناك تذوق ليس ألاّ! إمّا ان ترغب أو تجاري أو تمتنع مع تقدير ولكن مع مظاهر التنوع القاسي هناك بالضرورة "إحترام مطلوب إلى اقصى الحدود" بل ثمة رموزاً يجب ان تُعتبر واعتقادات يجب ان تُقدّر كائناً من كنت وألا أفضى الامر الى بلبلة في اوساط الجماعة الاثنية التي أهُينت مما يؤدي ذلك الى توتر وصراعات قد لا تنتهي[*]، لأجل ذلك – وهذا ما نلاحظه لبنانيا على الاقل- بمجرد ان

يحدث خطاب تحريضي أو واقعة مؤثرة أو موقف استفزازي فيه من الحدة العصبية من قبل جماعة تجاه اخرى سرعان ما يتنادى حكماء وقادة كل ملة الى الاستنكار والاستهجان وذلك كمؤشر على رفض ما يسئ وحفاظا على سلم أهلي وحرصا على عيش مشترك . إزاء ذلك تبرز جملة من التساؤلات:

- **بما تلتقي الجماعات الدينية المتنوعة وبما تتمايز؟ هل ثمة ظاهرات مخصوصة بجماعة دون آخرى.**
- **ما الذي يجعلنا نقبل بعض ما لدى الآخر أو نرفضه ؟**
- **ما الذي يدفعنا إلى أن نأخذ ببعض ما عند الاخر وتارة أخرى نمتنع على كثير مما لديه؟**
- **لماذا نحافظ على مسافات اجتماعية مفترضة مع ابناء الاقليات الاخرى؟**
- **ما الذي يعزز استمرارية التنوع وما الذي يحول دون انتشارها؟**

الإجابة على ذلك تردنا إلى العامل المؤثر في حياة الجماعة وسيرورتها إلا وهو وجود الدين وطقوسه، حيث يفسر علم

الإجتماع علاقة الطقوس اليومية بالدين اذ يعتبرهما متكاملان بأعتبار الاولى ممارسة والثاني اعتقاد ولا يعتبر الطقوس خالية من أي معنى أو مجردة من الواقع انما هي معتقدات مشبعة بقيم ومبادئ يعتنقها الناس ويعيشون بها ومن اجلها، في وقائعها يكمن سر التكامل والاستمرار عبر الزمن عندما تحاول كل جماعة أن تنميها عن طريق اقامة الشعائر في مناسبات مختلفة (عاشوراء/ جناز الفصح) او عن طريق الأخذ برموز تجري بين الناس مجرى العادة والتقاليد حتى يصبح لها نوعاً من الهالة والتقديس، ومثل هذه «الممارسات» والمتواترة منذ أقدم العصور هي على علاقة بأرث ديني او ثقافي أو إجتماعي، ليصبح معها **الطقس الديني** هو العبادة العامة المألوفة التي تقوم بها مجموعة دينية طبقاً لتقاليده المعينة. ومن الأمثلة على الطقوس الدينية القداس الإلهي في المسيحية الذي تأخذ به الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثودكسية الشرقية، وبعض الكنائس الأنجليكانية وبعض الكنائس اللوثرية (معظم الطوائف البروتستانتية لا تلتزم بإقامة القداسات) وفق ما يعرف بينهم بتعبير «ليتورجيا» وأصل هذه الكلمة يونانية وهي مؤلفة من قسمين تعني العمل الجماعي، أي مجموعة الأعمال من صلوات وتسابيح وترانيم وحركات يقوم بها المؤمنون داخل الكنيسة إضافة إلى الكهنة،

بهدف تسبيح الخالق تعالى؛ وتختلف الليتورجيا المسيحية من كنيسة إلى أخرى بل ومن بلد إلى آخر بأختلاف الثقافات والطقوس، ومنذ فجر الكنيسة تم طباعة هذه الطقوس في كتب محددة بهدف قنونتها، ثم عدلت مرّات عديدة لناحية تحسين اللغة أو تعديل الحركات الرمزية بحيث تغدو أكثر وضوحًا ولتتناسب مع تطورات الزمن الراهن والثقافة الجديدة.

أما عند المسلمين فالشعائر (بوصفها طقساً) هي نمطاً متكاملا من المعرفة البشرية والاعتقاد والسلوك الذي يعتمد القدرة على التفكير الرمزي والتعلم الاجتماعي، ومجموعة من الاتجاهات المشتركة والقيم والأهداف والممارسات. وباعتبار أن «العرف» أو «الموروث الاجتماعي» يتحكم في تحديد التصور للدين وتشكيل المفاهيم المرتبطة به برزت الى العلن عدداً من الظواهر والاتجاهات الدينية المختلفة، يؤيد هذا الزعم جملة من الشواهد منها ما حدث داخل الفقه المالكي من انقسام، حيث اختلف مالكية العراق عن مالكية الشمال الأفريقي في عدد من القضايا المنهجية الأساسية، ما جعل من المذهب المالكي مذهبين تحت مسمى واحد. كذلك الحال انتقال الإمام الشافعي من مذهبه الذي اقترحه وصممه في العراق إلى مذهب جديد صاغ منهجه في مصر بعد تأثره بـ«ثقافة» مصرية مختلفة عن «ثقافة» بلاد الرافدين، ما نتج

عن هذا التأثر تعديله لجملة من المواقف بناء على اجتهادات مخصوصة والتي تعني عمليا تباينا شكليا في الممارسة. وهو ما يمكن تعميمه على مظاهر دينية عديدة مرتبطة بالتعدد الديني حسب الإطار الثقافي-الاجتماعي. هذا التنوع والتعدد الثقافي للشعوب الإسلامية تم التعامل معه وفق منظور «أصول الفقه»، وهو ما يعكس شعوراً لدى النخب الدينية بتأثير الثقافات المتنوعة في صياغة الفقه والعقائد، ما دفعهم من ثم إلى الحديث عن محاسن إدماج «العرف» ضمن الأصول التي تبنى عليها الآراء والمواقف والأفكار الدينية، باعتبار هذا الإدماج دليلاً على اهتمام الدين الاسلامي  بالجماعات الإنسانية وعاداتهم وأعرافهم ونظام العلاقات التي تربطهم، وهو ما يعتبر- حسب بعض الباحثين- تطويراً للفقه الإسلامي وإظهاراً لأصالة الشريعة الإسلامية ومرونتها وقبولها للحكم في كل أمور الحياة المتطورة المتجددة.

## 1) إشكالية الإختلاف؟

رغم انتشار المفاهيم الديموقراطيه وإزدياد الحديث عن شرعة الحقوق الكافلة للحياة الكريمة لأي إنسان في مختلف الدول وعن حقه في ان يعيش الحياة التي يختارها في المواطنة دون تمييز، وبناء على ما يبدو ظاهريا بأن التسامح

قد يتغلّب على التعصب بفعل التعاليم الدينية وتقدّم الوعي بالعلوم والمعرفة. إلا إن وقائع الأمور تظهر بأن العلاقات العنصرية السلبية لازالت من أشد ما يقاسيه انسان المجتمع المعاصر ومن أخطر ما يؤذيه. فالتعصب لا زال كامنا في نفوس بعض الجماعات حتى في تلك البيئات التي يبدو فيها انه قد اقتلع من جذوره بداعي الحضارة والتمدن. وهذا ما يدعونا لأن نتساءل عن السبب في الاختلاف وعن الباعث الذي يدفع فئات/ جماعات/ اقليات/ مجتمعات الى اجهار التعصب ومعاملة الاخر المختلف على اساس سلوك تمييزي ـ عنصري؟

ما تبينّه الدراسات المتخصصة في دراسات التعصب إن هذه الظاهرة تنمو في ظل ظروف اجتماعية ونفسيّة وفكرية يعيشها افراد دون غيرهم، فالجماعات التي تزداد فيما بينها حِدّة في التعصب يعود ببعض مناحيه إلى:

1) **وجود التنوع:** فوجود جماعات تنتمي إلى إعراق أو أديان أو ثقافات مختلفة يعتبر أرضاً خصبة للتعصب، إذ كلما كان هناك إختلافاً وتبايناً بين الجماعات في مكان واحد كلما أدى ذلك إلى بروز التعصبية.

2) **وجود التنافس**: من شأن المنافسة ان تعمل على توليد نوع من الخوف فقد يخشى الفرد الذي ينتمي إلى طبقة/ عرق/ جنسية/ دين معين من منافسة فرد آخر له في مجالات العمل والوظيفة والإرتقاء الإجتماعي، وهكذا كلما كان المجتمع يسمح بأنتقال الفرد من طبقة اجتماعية إلى أخرى بناء على اسس ذات أبعاد طائفية وليس كفوءة كلما ترتب على هذا الانتقال توّجساً من احتلال الآخر لمكانه فيبدي إمتعاضاً وكره فتعصب.

3) **عدم وجود فرص للاتصال**، عندما تنعدم فرص اللقاء بين الاقليات فمن شأن ذلك ان يؤدي الى نمو الأفكار المقلقة إذ كلما ازداد جهل الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعايش معها أو يتواصل وأياها كلما نما في ظلها هواجس مقلقة من الآخر.

4) **وجود الاستغلال والاضطهاد**، بقدر ما تشعر جماعة ما بأنها مستغلة أو مضطهدة من قبل أفراد الأغلبية فأن ذلك كفيل بتنمية مشاعر العداء تجاهها.

5) **وجـــود الافـــكار النمطيـــة**: انـــه التفكـــير الجامـــد عـــلى

تصـورات خاطئـة مـن إدراكات غـير مؤكـدة عـن جماعـات دون غيرهـا وبقـدر مـا يكـون هـذا التفكـير سـلبيا نتيجـة معلومـات غـير صحيحـة فـأن صاحبـه يسـتجيب بأسـتجابات مفرطـة في التعصـب والرفـض والإبتعـاد.

**التنافس، الاستغلال، الاضطهاد، التنميط**، مرتكزات أساسية لتعميمات مفرطة عن خصائص جماعة معينة حتى تصبح لدى بعض أبنائها بمثابة ميكانيزم يستخدمونه للتعامل مع العالم الإجتماعي في تصور يتسم بالتصلب يتم على ضوئه وصف وتصنيف الجماعات الاخرى بخصائص سلبية غالبا ما تنحو نحو الحدة في التعزيز التفاضلي خاصة اذا ما اسهمت في التعزيز عوامل ثقافية (بما فيها وسائل الإعلام والثقافة) وعوامل تربوية (بيئة التنشئة ووسائلها) وعوامل سياسية، وفق ما يفسره الباحث الاكاديمي سعود المولى في إطار استراتيجيات بناء الهوية الذي يرى في مقالته عن «العيش المشترك في جحيم ألاخر»[2] بعدا استراتيجيا سياسيا يندرج في إطار الصراع للوصول إلى السلطة أو للدفاع عن سلطة قائمة أو لتوزيع جديد للسلطة وتعطي الطوائف اللبنانية مثالاً

ساطعاً على هذا الأمر: فلئن كانت نقطة إنطلاق الطوائف في الأصل تجمعات عبادة دينية أو مذهبية خاصة (الشيعة، الموارنة، الدروز، العلويون، على سبيل المثال لا الحصر..) فان عامل العبادة لم يعد هو الذي يحافظ على تماسك الطائفة ولا هو الذي يحيي نشاطها أو يحدد أهدافها. ولم يعد التعلق بمضمون العقيدة الدينية الأصلية الذي كان في أساس نشأتها هو ما يؤّمن تماسك الطوائف اللبنانية، بل انه ذلك الشعور فيما بين أبناء الطائفة الواحدة بارتباطهم الواحد بالآخر برباط الدين، وهو ما ينمّي عندهم أيضاً إحساساً بالفرادة والخصوصية..ويتعزز التماسك الطائفي هذا من جراء سيادة الزواج اللحمي فيما بين أبناء الطائفة الواحدة.

يؤشر هذا الباحث الى علاقة الديني بالسياسي، تلك العلاقة القائمة على التوظيف المتبادل، هي المنتجة للحالة الطائفية وخطاباتها. واذا كانت شحنات الكراهية التي تفرزها أدبيات الخطاب الطائفي المتسيس ضرورة، فأن هناك فرقا واضحا وحاسما - على مستوى الرؤية وعلى مستوى الفعل - بين أن يعتقد كلُّ طرف بأن عقيدته تتنافى وتتضاد مع عقيدة الطرف الآخر، وبين أن يُؤسس على هذا الاختلاف والتضاد ضرورة الكراهية والعداء وحتمية الصراع .

## 1.1) إشكالية الاختلاف/ المنظور الديني:

حين ندرس الأديان المختلفة عبر العصور نلاحظ تشابها شكليا كبيرا بين معظمها حول العالم، لكن هذا التشابه الشكلي لا يعكس تشابهاً فعليّا في المضمون لما يمارس كل منها من شعائر وطقوس وعبادات وللغاية من وجودها، حيث يقول الباحث في علم الأديان، ستيفن بروثيرو، مؤلف كتاب "الله ليس واحداً"، أن الأديان تختلف لأن الأسئلة الأساسية التي طرحتها هي أسئلة مختلفة؛ فالمسيحية تساءلت عن كيفية تحقيق الخلاص من الخطيئة الأصليّة، والهندوسية تساءلت عن كيفية الانتهاء من دورة تناسخ الأرواح، والبوذية انطلقت من التساؤل حول كيفية التغلّب على المعاناة، وكل منها خرجت في نهاية المطاف بجواب مختلف، بممارسات مختلفة وبوسيلة فكرية ودينية مختلفة. الأديان الحيّة في العالم اليوم ليست واحدة لا في أسئلتها ولا في أجوبتها، لا في غايتها ولا في فلسفتها ولا في بنيتها العامة. وإن كان هنالك من تشابه، فالتشابه هو بين كل مجموعة من الأديان على حدة: هنالك تشابه كبير مثلاً بين الأديان التوحيدية الإبراهيمية، وهنالك تشابه بين الأديان الدارمية، لكن هنالك اختلاف شاسع بين مضامين الأديان التوحيدية والأديان الدارمية:

فالأديان الإبراهيمية يجمعها التوحيد ـ الإيمان بإله واحد له صفات معروفة، يجمعها وجود كتب مقدّسة تعتبرها كلام الله أو وحي منه، ويجمعها فكرة وجود نبي- رسول واحد وأولياء صالحين غيره، كما تشترك في فلسفتها الثنائية القائمة على الثواب والعقاب، الجنّة والنار والخير والشر. بالإضافة إلى ذلك كله، تشترك هذه الأديان بوجود مؤسسة دينية مركزية تقتصر على الرجال. هذه الأمور كلها ـ التي تُعتبر أحياناً أنها مشتركة بين كل الأديان ـ هي في الواقع مشتركة فقط بين الأديان التوحيدية وبعض الأديان الدارمية كالهندوسية الفيدانتية (توحيديّة).(3)

على ذلك نستخلص بأن الديانة ـ وكما أتفق على تعريفها أكثر من باحث- مجموعة المعتقدات والأفكار مصحوبة بقواعد سلوكية خاصة (الطقوس) يبرز في كثير من هذه الافكار والمعتقدات تفسيرات مختلفة حول طبيعة الوجود/ الكون/ الإنسان/ المقدسات/ الأعتقاد المرتبط بما وراء الطبيعة/ القوى الماورائية. ومن مقتضى هذه التفسيرات تنوعت الجماعات واختلفت حتى اصبح هناك شيعا وفرقا وجماعات لكل منها هيئات دينية ومجموعة من القيم والمظاهر المرتبطة بها وأماكن للعبادة خاصة بها.

إلا أن مثل هذا التنوع كان يفضي خلال العصور الغابرة

والآنية إلى حالة تنافر نتيجة للتباين الحاصل في التفسير والفهم الأعمق للمسألة الدينية حتى شطحت بعض الفرق نحو الايغال في الاجتهاد والتأويل فظهر التشدد والتطرف خاصة عندما تمر المجتمعات بتحولات جذرية في بنيانها الإجتماعي والفكري والسياسي وبين حالة الخوف من الإنهيار أو الذوبان في كليّة «التحول» وضرورة المحافظة على «نقاء الدين» بشكله الموروث ونتيجة لتجاذب التقليدي مع المتحول تظهر إلى العلن مظاهر رفض اجتماعية تتجلى صورة معالمها في ظاهرة التعصب الديني، فالتعصب الديني موجود لوصف التمييز على أساس المعتقد الديني وشكلاً من أشكال التحيّز من قبل أفراد أو جماعات ولعل أقسى أنواع التعصب المذهبي القول بكفر من يخالفه؟ وهو من أهم الأسباب الحقيقية للمصائب والصراعات والأقتتال التي نزلت على العالم.

## 2.1) إشكالية الاختلاف / المنظور الاجتماعي:

في كتابه "الصور الاولية للحياة الدينية" يقدم العالم الاجتماعي أميل دوركايم تحليلا دقيقا لطبيعة الاختلاف

بين الاعتقاد ونقيضه، فيعتبر المقدس بمثابة نسقا من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشئ محرم (تابو) وبأن ما هو موجود في المجتمع ينقسم الى مجموعتين مختلفتين: **المقدس** و**المدنس**، يرمز المقدس الى كل الاشياء التي وضعها الإنسان وتتضمن المعتقدات والطقوس والعبادات؛ والمدنس كل ما يجافي ذلك. وبناء على هذه الثنائية تنقسم الجماعات حيث هناك من يعتبر نفسه من اتباع المقدس وينظر إلى الآخر فيما لا يجاريه في القداسة هو في خانة المدنس ليتولد عن ذلك ثنائية الجماعة المؤمنة والاخرى الكافرة ومعها بدأت نظرة الأنا إلى الآخر المختلف دينياً.

ولعل عنصر الاختلاف في الانتماء أخذ يوقع الناس في فخ المقارنة بين: فئة الانتم مقابل فئة النحن، التي تهيئ بدورها لصراعات حادة تتسم حدّةً في النفور والخوف من الآخر المختلف، ويأخذ هذا الاختلاف عمقا مع برمجة حياة جماعة (مقدسة) بشكل مغاير عن أخرى (مدنسة)، حيث كل جماعة تضفي على التباين أهمية قصوى وترتّب عليه مواقف وأنماط من المعتقدات والسلوك المتبادل عبر ما يُعرف بالتشريط الحضاري (culture conditioning) اي

سلسلة الضغوط النفسية والاجتماعية والثقافية الممارسة على أفراد الجماعة الاثنية التي يرى فيها "المنتمي" إلى المقدس حالة آمان مرجوة ومساندة ومساعدة[4] واللامنتمي حالة احتقار ورفض. إنه "مقدار الإلتزام"، حيث معه تنطوي العلاقة الاثنية صراحة أو ضمناً على آليات نفسية وإجتماعية وذهنية للاندماج والاستبعاد قوامها شروط يكون فيها المرء أما من جماعة "النحن" وأما من جماعة "الهُم". ومع هذا الشرط يصبح للتنوع الصعب وجودا حيويا تظهر معالمه في ممارسات يومية ذات بعد عقائدي راسخ ومتوارث:

- ✓ فالمسلم لا يجلس على طاولة يدار عليها خمر.
- ✓ والمسلمة الملتزمة تعاليم دينها لا تصافح رجلاً غريباً عنها.
- ✓ والمسيحي يؤمن بسر التجسد وعقيدة الصلب بشكل لا يقبل الجدل والشك.
- ✓ وترفض المسلمة الزواج من غير المسلم إلا إذا إلتزم بأركان الإسلام.
- ✓ وبالمثل ترفض الكنيسة تزويج من لا يعترف بوجودها.

- ✓ ولا يعتبر المسيحي مسيحياً حقيقياً إلا إذا تعمّد بأسم الآب والابن والروح القدس.

من هنا تبدو دراسة مثل هذه الممارسات الخاصة بكل فئة ليست من السهولة بمكان وذلك لتمايز الثقافات ولأختلاف الشعائر والطقوس التي تمارس وإختلاف فهم الناس لها ولكن الذي يتفق عليه جميع الدارسين اعتبارها «شيئاً مقدساً» يجب أن لا يمس وعلى الإتباع ان يحافظوا عليه كهوية، فالهوية تنبني انطلاقا من آّلية مزدوجة من التمايز والتماهي مع المحيط. والمحيط هنا هو عامل فاعل أولي في إدامة هوية خاصة. بعض العناصر قد تلعب دورا أكثر تعبوية واستثارة للهوية؛ الدين خصوصاً. غير أن التركيز على العنصر الديني في بناء وتعبئة واستثارة الهوية لا يكون من باب الإيمان أو التقوى بل من باب إثبات الذات المميزة. وهنا يبرز شيوع التفسير المختلف للدين وانفلات المظاهر الشعائرية والطقوس الخارجية كمعبر للتمايز على حساب الجوهر الروحي للدين. فالجماعة – الطائفة تتشكل من خلال استحضار شعائري- طقسي لذاكرة تاريخية محملة بالخصوصية التي تؤطر الذات إلى حد القداسة ولعل الأساطير المؤسسة للجماعات – الطوائف

تشكّل أنموذجا للسلوك البشري وبذا تعطي معنى وقيمة للوجود.

## 3.1) إشكالية الاختلاف/ المنظور السيكولوجي:

في العام 1972 قدم الباحث في علم النفس الاجتماعي تاجفيل من خلال دراساته المبكرة التي اجراها في جامعة بريستول الأمريكية والتي ركز فيها على السلوك الذي يحدث بين الجماعات نظريته المعروفة بـ«الهوية الاجتماعية»، حاول من خلالها أن يفسر أوجه التمييز والصراع بين الجماعات. معتبراً أن التصنيف الاجتماعي للافراد في جماعات متمايزة بأمكانه وحده أن يُحدث سلوكاً بين الجماعات يسعى من خلاله هؤلاء الأفراد إلى تفضيل أعضاء الجماعة الداخلية اكثر من أعضاء الجماعة الخارجية خاصة عندما يأخذ كل منهم بتقييم هويته في تمييز إيجابي عبر ما يصطلح على تسميته بتعبير: «تقدير الذات الجماعي»[5] حيث وفق هذه المفاهيم التي خلص إليها تاجفيل وكروكر ولوتانين تحدد الانتماءات الاجتماعية هوية الفرد كجزء من مفهوم الذات فيستمد الأفراد تقديرهم لوجودهم من خلال هويتهم الاجتماعية ووفقاً لهذه

الهوية ينتج التميز والتعصب من الاختلافات القائمة بين الجماعات. وتتبع هذه النظرية عملية اخرى في غاية الاهمية يُطلق عليها عملية التميز السيكولوجي التي تنقسم بدورها إلى جزأين هما:

1) **التمييز الايجابي ويعني أن الأفراد يحركهم دافع هو رغبتهم في رؤية جماعتهم أفضل من الجماعات التي تشبهها.**
2) **التمييز السلبي ويعني أن الجماعات تميل إلى تقليل الفروق بين الجماعات إلى الدرجة التي تبدو فيها جماعتنا مفضلة في نظرنا وأفضل من غيرها.**

مما يعني أن مفهوم الذات المُنشأ من هوية اجتماعية يصبح بمثابة ميكانيزم معرفي يدعم المتصل النفسي- الاجتماعي الذي يجعل أفراد أي جماعة يتصرفون أو يسلكون تجاه غيرهم بناء على هذا المكون والذي غالباً ما يكون مرتبطاً بعملية «تنميط معرفي» (stereotyping) وبدوره هذا التنميط يمد صاحبه بتوجهات إجتماعية تجاه الآخرين قوامها الحب والكره، الموافقة والمعارضة،

التعاون والصراع وعلى إنه مثلما هناك فئات إجتماعية مميزة حكماً كفئة رجال مقابل نساء، فئة سود مقابل بيض، هناك فئة (طائفة) دينية مقابل طائفة دينية اخرى، وفق ما يعرف بـ: التصنيف الاجتماعي التي يتم من خلالها توزيع الأشياء أو الأفراد من حولنا إلى فئات كي يسهل التعامل معها، وبناء على نزعة التصنيف يصبح هناك جماعة داخلية (النحن) وجماعة خارجية (الآخر) ومثل هذا التباين يفترض مزيدا من الاتجاهات السلبية تجاه الجماعات المتغايرة وبذاك ينشأ التمييز من نزعتنا إلى تصنيف الآخرين أما على أساس إنهم ينتمون إلينا ويماثلوننا أو على أساس إنهم ينتمون إلى جماعات أخرى لا يماثلوننا.

## 2) إشكالية الاستطلاعات:

في بلد كلبنان يبقى حديث الطائفية هو خبز الناس اليومي سيما مع تواتر الأحداث التي ما برحت تفضي إلى إنقسامات مذهبية وأثنية وحزبية وعرقية نتيجة ما أسماه الباحث السوسيولوجي اللبناني فردريك معتوق «فتل الذاكرة الشعبية»[6] التي يعمد إليها مهندسو الصراعات الحزبية

وقادة الرأي السياسي وجماعة الخطاب الإعلامي المؤدلج، يصبح معها هاجس العيش والتعايش يؤرق مضجع أبناء الاثنيات المتنوعة، ولتشعر كل جماعة ومع «شواهد الفتل» بأنها جماعة مهددة، مستضعفة مما قد يدفعها ذلك:

- أما إلى أن تبحث في الخارج عن من يحميها لاسيما جماعات أخرى تتماثل وإياها في التوجه والعقيدة لتضمن سلامتها وبقائها
- وأما إلى أن ترتحل وتهاجر بحثاً عن ملاذ آمن بعيدا عن عوامل التهديد حيث تعيش. وغالباً ما تتجه نحو مناطق/ دولا تقدر المواطنة الحقة لجهة الديموقراطية والمساواة وحرية التعبير وإحترام حقوق الانسان والعيش ألامن.

أو قد ترفض كلا الخيارين وتحرص على خيارات البقاء كجماعة منغلقة على ذاتها حفاظاً على ديمومتها، وعليه يصبح للمسافات الاجتماعية بعداً ملموساً تتبدّى معالمه في أكثر من سياق إجتماعي، إقتصادي، سياحي، تجاري، ثقافي، إعلامي، تعليمي. تفضل كل منها االعمل فيما بين أبنائها وضمن نطاق محيطها الجيوديمراغرافي.. فتصبح عندها

مسائل الإختلاط والتواصل والتفاعل على شئ من الحذر.

ولرصد هذه المسائل ومعرفة حدود التباين عن كثب أُعتمدنا مقياس بوغاردس للمسافات الاجتماعية بأعتباره الأكثر تناسبا وملائمة لتوصيف العلاقة بين الجماعات والافراد والاثنيات، حيث استخدمناه في استطلاعات رأي متتابعة كان أولها العام 2002 وآخرها العام 2012 توسطها استطلاع العام 2007 كمحاولة منا للاجابة على طروحات أبرزها:

1. ما صورة العلاقات اليومية القائمة على صعيد الزواج والصداقة والجيرة والزمالة وكيف يمكن قياسها؟
2. هل تنبئ حالات الإنزواء والانغلاق المكاني نوعاً من التباعد والنفور بين أبناء الطوائف والمذاهب وإلى ما يعود السبب؟
3. إلم يَمكن إرجاع عوامل التباعد وإنعدام التقارب وهل يمكن التخفيف من حدة التمايزات الحاصلة اثنيّا.

إلا أن الإشكالية الأهم التي ظللّت عملنا الميداني الأخير هو سؤال أكثر دقة: هل لازال الواقع الاجتماعي اللبناني في صورة تعامل ابناء الطوائف مع بعضهم البعض هو نفسه

الذي كان منذ عشر سنوات أو منذ خمس سنوات الماضية؟ أثمّة تغير ام تماثل الامر بمعطياته كما في كان في السنوات الأخرى؟ وان كان هناك تغيراً إلى ما يرجع؟ هل ينسحب الود على علاقة المرء بما يعايشه من ابناء الطوائف الاخرى او نقيض ذلك ؟ كيف يمكن توصيف علاقة المسلم اللبناني بالأخر المسيحي؟ هل يمكن ان تحدد لنا مسائل الارتباط الزواجي وعلاقات الصحبة والزمالة والجيرة عن تنوع ناعم ام ثمة تنوع قاس يبرز في عوامل التجنب والرفض والاستبعاد؟ في الاجابة عمدنا إلى مقاربة التساؤلات مع عينات ممثلة في ثلاث محطات تاريخية مفصلية:

- الاولى العام 2002 حيث كان لبنان قد دخل مرحلة سلم اهلي واستقرار امني بعد انسحاب العدو الاسرائيلي نهائيا من أراضيه وانطلق اللبنانيون جميعا نحو بناء وطنهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بأستثمارات ضخمة آملا بمستقبل واعد في دولة مؤسسات
- الثانية كانت اثر اغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري الذي ادخل البلاد في حالة من

المجهول حول المصير الذي سيؤول اليه البلد وتضعضع ابنائه وترقبهم لما ستنتهي إليه أوضاعهم أمنياً وسياسياً واقتصادياً.

- والثالثة كانت خلال العام 2012 وهي محاولة ميدانية أخرى لفهم تصورات الناس وخاصة المنتمين إلى طائفتين رئيستين تجاه بعضهم بعد محطتين زمنتين (واحدة في وقت السلم -2002- واخرى في زمن التوتر ـ 2007) لاسيما وإنه يأتي (الاستطلاع) في ظل حالة حادة من الصراع السياسي القائم بين الافرقاء على تسلم مقاليد الحكم لرسم صورة البلد المفترضة وتجاذب كلا الطرفين على ايقاع التحولات التي هزت دول عربية عديدة تركت آثارها بشكل وبآخر على واقع الحال اللبناني.

جل ما يعنينا من المقاربات الثلاث ان نتوقف بالبيّنة والنتائج عند حال اللبنانيين في كل مرحلة ومقارنتها بالمرحلة التالية: أثمّة تغير؟ هل تؤثر الاحداث السياسية والوقائع الامنية في انعدام التماسك الاجتماعي كأبناء مجتمع واحد بين زمن وآخر؟

## * الفرضية القائمة:

توّصف التصورات السوسيولوجية عن العمليات الاجتماعية التي تتضمنها التفرقة الاثنية بين الطائفتين الاسلامية والمسيحية في عدة صور أبرزها: التمركز الاثني وانغلاق الجماعة، تشير **الصورة الاولى** الى التوجس والشك مقرونا بالميل الى تقييم ثقافة الاخر بمعايير ترتكز على ثقافة الجماعة الاولى نفسها حيث يشوبها في احيان كثيرة «التفكير التنميطي» والنظر الى آلاخرين المختلفين بأعتبارهم غرباء/ منحطين اخلاقيا/ متخلفين (ومثل هذا التصور ادى الى صدامات اثنية لا حصر لها عبر التاريخ)؛ اما **الصورة الثانية** فهي تشير الى محافظة الجماعة الاثنية على الحدود الفاصلة بينها وبين الآخرين ويجري تشكيل هذه الحدود عن طريق وسائل اقصائية تحدد وترسخ حواجز الفصل بين مجموعة اثنية واخرى (كحظر التزاوج بين الجماعات المختلفة دينا ومذهبا مثلا) وهكذا تأخذ كل جماعة اثنية بالحفاظ على «مسافة» دون ان تقوم احداهما بمحاولة فرض سيطرتها على الاخرى، «وقد تتراوح العلاقة القائمة بين الانصهار والانفصال من خلال درجة ما تطمح اليه في علاقتها بالجماعات الاثنية الاخرى التي تعيش واياها في نفس المجتمع السياسي. وفي التاريخ

الحديث توجد امثلة عديدة للحركات الاندماجية بين الجماعات الاثنية بحيث تؤدي الى انبثاق وحدة متجانسة ويعتبر لبنان من الامثلة لتلك المحاولات»[7] إزاء هذه الافترض هل ان حال المراوحة الصعبة بين كره الاخر في حالات التأزم السياسي تفضي في النهاية الى حالة من التباعد ليظهر كل فريق مآزم التفرقة والبغض والتباعد؟ ام يظل اللبنانيون ينشدون رغبة الالتقاء وحب العيش المشترك لانهم في المحصلة ابناء وطن واحد ويتشاركون ارضا واحدة وينتمون لهوية مشتركة فلا بد والحالة هذه من تواصل وتقليص للمسافات بين اناهم وآلاخر الطائفي.؟

## المحطة الاولى: استطلاع 2002

خلال العام 2002 أظهر الواقع الميداني لفريق البحث اختلافاً في الاختيارات تمثلت اكثرها ايجابية مع مواقف المرونة الاجتماعية واقلها سلبية في مواقف التصلب الاجتماعي، فالمرونة (التقارب او التماثل) بدت واضحة في اكثر من مكان بمؤشرات عديدة مع خيارات: الزواج، الصداقة الحميمة، الزمالة القوية في العمل، الصحبة في الجامعة، الخ... اما درجات التصلب الاجتماعي فقدت بدت

الاخرى في مواضع: التجنب والابتعاد لعدم الانسجام، رفض وجوده في المحيط المجاور، عدم التعاون.. كما هو مبين في الجدول التالي:

**جدول رقم 1 : توزع نسب مستجوبي الاستطلاع بين الطائفيتن بحسب خيارات التقارب والتباعد خلال العام 2002**

| المعطى / الخيار | مقياس العلاقة عند المسلم | مقياس العلاقة عند المسيحي |
|---|---|---|
| 1) الزواج | % 28 | % 8 |
| 2) الصداقة | % 48 | % 42 |
| 3) الجيرة | % 2 | % 4 |
| 4) الزمالة | % 16 | % 32 |
| 5) المصلحة | % 2 | % 4 |
| 6) المواطنة | % 4 | % 10 |
| 7) الاستبعاد | صفر % | صفر% |

في قراءة أولية لهذه المعطيات يتبين أن الذين اختاروا من **1** إلى **3** (ونسبتهم 78 % عند المسلمين 54 % عند المسيحيين) يرجع إلى ما يتمتعون به من عوامل مثل : القدرة على الإندماج، التفهم، تقدير مشاعر وأفكار الآخرين، التي تعتبر بدورها من الشروط اللازمة لاقامة علاقة اجتماعية

ناجحة تتسم بالمودة والتدعيم المتبادل نتيجة الإدراك الصحيح لرغبات الآخر من خلال مجالات لآحظها فريق العمل كانت تتجلى في مواقف أبرزها: معدل مرتفع للاتصال اليومي بين الآنا والاخر، الحفاظ على مسافة مناسبة من الاحترام لإبقاء العلاقات في مسارها الودود والرغبة في معرفة كل منهما عن الآخر معلومات تتعلق به (رقم هاتفه/ عنوانه/ أفراد عائلته/ عاداته تقاليده/ مناسباته) أو معرفة هواياته وتفضيلاته (الاشياء التي تسعده أو تضايقه كي تكون محطة تقرّب وإهداء). تبين صور الحياة اللبنانية وعلى رغم تنوع تلاوينها على مذاهب وأطياف وملل وأثنيات بأن الناس يتجهون بأنفسهم نحو الآخرين من خلال دوافع تعتبر بمثابة المحددات الأساسية للسلوك بينهم، ويمكن تحديد هذه الدوافع في ثلاث مفاهيم هي:

1. **الاحتواء،** أي الحاجة للارتباط بألاخر والتواجد معه، وتتضح هذه الحاجة غالباً عند قيام الشخص بأهتمامات محببة للآخر كي يجذب أنتباه ويستحوذ تقديره، لهذا نلاحظ ان كل من اراد اقامة علاقة مع آخر مختلف كيف يكون ودودا/ منفتحا/ لطيفا/ صديقا، يحترم ما لديه كي يحوز مكانة أكبر في جمهوره.

2. **التوجيه،** أي عندما تكون لدى طرف رغبة في توجيه الآخر وضبطه وفق ما يريد، تكون لدى الطرف الآخر رغبة في توجيه وضبط من يقابلهم أيضاً، والشخص الذي تكون لدية حاجة عالية للتواصل مع الآخر عليه أن يكون منضبطاً في تصرفاته/ كلامه/ كي لا يُواجه بالاعتراض والرفض.

3. **التعاطف،** ويقصد به مشاعر الحب، مدى الانسجام والتجاذب عوامل التقرب، اذ على ضوئها يمكن التنبؤ بوتيرة العلاقات القائمة بين الأقرناء والأفرقاء، على إختلاف سماتهم فالشخص الذي تكون لديه حاجة قوية من العاطفة مع الآخر يصادقه، ويحاول أن يقيم معه روابط إنفعالية قويه، أما من تكون لديه حاجة منخفضة فإنه يتجنب إقامة علاقة قوية.

* فهل بقي الواقع نفسه في السنين الخمس التالية؟

## المحطة الثانية: استطلاع2007

بعـد العـام 2005 الأخـيرة شـهد لبنـان أحـداث سياسـية وأمنيـة خطـيرة، كانـت مفصليـة في مسـار حيـاة أبنائـه انعكسـت عـلى بُناهـم الذهنيـة والإجتماعيـة، حتـى بـرزت عـلى ضوئهـا نتـوءآت

حـادة في مسـار العلاقـات القائمـة بـين أبنـاء هـذا البلـد الواحـد، أنفـرز الجميـع في كتـل وتيـارات سـواء ضمـن الطائفـة الواحـدة تجـاه الطائفـة الاخـرى، أو سـواء بخليـط عـدة مذاهـب في توجـه سـياسي وأحـد إزاء خليـط آخـر لـه اهتماماتـه وتوجهاتـه المختلفـة. أمـام هـذا الواقـع المسـتجد كان افتراضنـا حـول المسـافة الإجتماعيـة الموجـودة في ظـل هـذا التغـير الحيـاتي المتوتـر بعـد مرحلـة اسـتقرار، هـل لازالـت العلاقـات ثابتـة عـلى انسـجام أم حدثـت تبـدلات؟ إلى أي مـدى اختلفـت المسـافات بـين ذوي المذاهـب المتعـددة هـل لآزالـت هـي هـي أم إنهـا تغـيرت. وفيـما لـو تبدّلـت في أي سـياق؟ هـذا مـا دفعنـا إلى إعـادة إجـراء الاسـتطلاع في المـكان ذاتـه ومـع عينـة متشـابهة لنرصـد مـدى التغـير الـذي حصـل عـلى مقيـاس العلاقـة السـابقة. وبأسـتخدام التقنيـة ذاتهـا تحصلـت لدينـا المعطيـات الإحصائيـة التاليـة:

جدول رقم 2 : **توزع نسب مستجوبي الإستطلاع بين الطائفيتن بحسب خيارات التقارب والتباعد خلال العام 2007**

| المعطى / الخيار | مقياس العلاقة عند المسلم | مقياس العلاقة عند المسيحي |
|---|---|---|
| 1) الزواج | % 20 | % 12 |
| 2) الصداقة | % 40 | % 30 |
| 3) الجيرة | % 6 | % 12 |
| 4) الزمالة | % 16 | % 20 |
| 5) المصلحة | % 6 | % 6 |
| 6) المواطنة | % 4 | % 10 |
| 7) الاستبعاد | % 8 | % 10 |

في هذا الجدول نلاحظ تسجيلٌ للخيارات السبعة عند مختلف الفئات بنسب متقاربة الى حد ما، حيث أحتل مؤشر الصداقة أعلى نسبة أختيار لكلا الطائفتين، يليها عامل الزمالة فالزواج. أما المصلحة والمواطنة والأستبعاد جاءت تاليا في الجهة المقابلة عند شريحة من الناس في كلا الطائفتين. وقد لآحظ فريق العمل خلال الاستجواب ملاحظات هامة أبرزها:

✓أشارة البعض الى أهمية التنوع الطائفي كميزة عريقة في لبنان شرط أن تبقى في أطار المسالمة والاحترام المتبادل.

- ✓ رغبة بعض البنات المسلمات منهن والمسيحيات الزواج خارج اطار الطائفة تمردا على الاعراف االقائمة ( فالحب يجب ان يتغلّب على التفرقة كما علقت احدى المستجوبات).
- ✓ أهمية أن يتعرف كل صاحب مذهب على ما لدى الاخر من مقومات روحية سامية، فهذا بدوره يهيئ الى مناخ الانفتاح والتقبل.

يبدو أن هناك ثلاث أتجاهات ومواقف قدمتها نتائج الاستطلاعين هي:

- ➢ ارتفاع مؤشر الصداقة ومبرر هذا الارتفاع في نسبته يمكن أرجاعه الى أعتبار هذا الموقف اخف الخيارات جدلا مما لو اختار المرء مؤشرات اخرى لهذا كان يلجأ اكثر المستجوبين إليه بأعتباره اكثر اعفاءً للحرج، بل ان بعضهم اعتبر إنه من خلال الصداقة يمكن ان ينتقل المرء أما إلى الزواج (بحيث تتطور العلاقة بعد التواصل الحميمي) او يمكن ان تستدعي تقربا في السكن وجيرة!
- ➢ ثبات النسب في مؤشري الزمالة والمصلحة عند شريحة معينة من الناس التي تعتبر ان ما يربطها بالاخر هو مجرد زمالة أما في دراسة أو عمل أو

نشاط تجاري أو خدماتي. لا أكثر ولا أقل. أي هناك نوعاً من **القبول الظاهري** الذي يبدو في المجاملات وحكم الضرورة.

- بروز ملحوظ لمؤشر الاستبعاد، فبعدما كان هناك انعدام لاختياره في الاستطلاع الاول (حيث لم يحدده احد من أفراد العينّة) استحوذ نسبة معينة لدى شريحة من المستجوبين وهذا أن دل على شئ انما يدل على التبدل الحاصل في وقائع الحياة اليومية التي اخذت تتشكل معالمها رويدا رويدا نتيجة الاحداث السياسية الحاصلة بعد الاستطلاع الاول من احداث امنية عصيبة/ اغتيالات سياسية/ خطاب سياسي متشنج/ اعلام مؤدلج، كل ذلك القى بظلاله على ذهنية الناس وتصوراتهم ومواقفهم، لدرجة بات استبعاد الاخرمطلوبا او أمُنية لو تتحقق، وكأن هناك انغلاق على الانا الجماعية وتوجسها من الآخر الطائفي. والسعي نحو منافذ الخروج من هذا التوجس اما بالرحيل التلقائي (السفر والاغتراب) او التحصّن داخل قوقعة الانتماء المناطقي المماثل (تغيير مكان السكن/ ترك عمل بين اناس ليسوا من ملته إلى عمل آخر) وأما رفض الاخر والنفور منه وعدم التعامل معه وتجنبه لدرجة أستبعاده من الوسط الذي يعيش

فيه كي لا يتواجه وإياه. وهنا الكارثة لان عندما تأخذ كل طائفة تتكتل على خوف، متوجسةً من الاخر شرا تدخل عندها في مآسي توازن الرعب الطائفي يحاول كل منها ان يصارع الاخر في مد وجزر الالغاء فتكون النتيجة تغير ديموغرافي ونفسي وثقافي خطير، لان «إيديولوجيا التخاصم التي تميز الحروب هي منظومة فكرية تقوم على صورة جوهرية هي صورة النحن لآ على صورة الكل، النحن تعني جماعة دينية او اثنية محددة او عصبية قبلية، النحن تعني جماعتنا، كتلتنا، وفي النحن لا مجال للآخر وطالما لا مجال للآخر فكيف بالتالي ان يكون مجال للكل، فالكل هو مجال الدولة وجميع المواطنين/ اما النحن فهي مجال القبلية/ الجماعة/ الحزب المغلق/ الطائفة والاثنية..» [8]

إزاء هذاين الاستطلاعين كيف ستكون صورة الواقع المفترض في إستطلاع جديد هل سيتماثل ومعطيات الاستطلاع الاول حيث المرونة الاجتماعية في اعلى درجاتها أم إنه سيظهر النقيض من حيث الصلابة كما في الاستطلاع الثاني الى حد ما ام انه سيؤول الى واقع مختلف تتبدل معه المعطيات بشكل مغاير؟

## المحطة الثالثة: استطلاع 2012

اذا ما تأملنا جليا في خفايا الامور اللبنانية وفي علانيتها نلاحظ بأن الطائفية اخترقت كل شئ في لبنان من المأكولات الى المحلات الى بيوت السكن فالاعلام وطريقة اللباس والكتابة والتماثيل والشعارات والاحتفال بالمناسبات، كله بات يخضع لصبغة ليس طائفية وحسب وانما مذهبية واثنية بأمتياز. وكأننا نتجه اكثر فأكثر نحو متاهة مقعرة من التجييش الذي يساهم في تكريس النفير الطائفي حيث هناك ما يشبه الخطاب الشارعي-الاستفزازي، وفي خضم هذه البلبلة يكثر الحديث عن تباعد وتنافر يقابلها دعوات الى نبذ التطرف و«الجلوس الى طاولة حوار» تخفيفا من حدة الاسوأ المرتقب، وسط هذا «المناخ التعصبي» هل الاسوأ المرتقب بأن تقفل كل جماعة على افرادها وابنائها، بأن يرتّد كل منا على جذر طائفته؟ واي حال يعكسه الواقع الاني اجتماعيا؟ لغاية ذلك عدنا ثانية الى الحقل الميداني لأستجواب عينة متشابهة بالمؤشرات مع العينات المستجوبة سابقا من حيث التوزع المناطقي والطائفي والعمري والجنوسي والعلمي، فجاءت المعطيات وفق البيان التالي:

**جدول رقم 3: توزع نسب مستجوبي الاستطلاع بين الطائفيتن بحسب خيارات التقارب والتباعد خلال العام 2012**

| المعطى / الخيار | مقياس العلاقة عند المسلم | مقياس العلاقة عند المسيحي |
|---|---|---|
| 1) الزواج | % 14 | % 12 |
| 2) الصداقة | % 36 | % 28 |
| 3) الجيرة | % 12 | % 10 |
| 4) الزمالة | % 8 | % 22 |
| 5) المصلحة | % 14 | % 4 |
| 6) المواطنة | % 10 | % 10 |
| 7) الاستبعاد | % 6 | % 14 |

بقراءة اولية لمعطيات جدول رقم 3 نلاحظ ان مؤشر الصداقة عند كلا الطائفتين كان في متوسطه الاعلى اذ يفضلون ان تكون علاقاتهم بالاخر الطائفي وفق اطار الصداقة، في حين استقرت نسب خيارات الزواج والجيرة على تعادل نسبي اذ كانت النسبة متقاربة تجاه بعضهم البعض في مؤشر الزواج (12-14 %) وكذلك في مؤشر الجيرة (10-12 %) واستواء كلا الفريقين في مؤشر المواطنة (10-10 %) لكن المفارقة في هذا الجدول هو اختلافهم الملحوظ في مؤشري المصلحة والاستبعاد:

- ففي إطار المصلحة قد تؤشر هذه النسبة إلى

ضرورة بقـاء العلاقـة مـع الآخـر في إطـار المصلحـة ومـا تقتضيـه ظـروف عيشـهم مـن بنـاء مصالحهـم الاقتصاديـة والاجتماعيـة والمهنيـة والدراسـية كأبنـاء منطقـة واحـدة لا يمكـن لاحدهـم إلا ويتعامـل مـع شركائـه، ولعـل انخفاضهـا لـدى الفريـق المسـيحي يـؤشر في مـكان مـا الى عـدم الرغبـة في التعامـل بنـاءً عـلى ظـروف وخـبرات او تجـارب حيـاة تواتـرت اليهـم مـن أبنـاء ملتهـم حـول صعوبـة التعامـل مـع المسـلمين.

- أمـا عـن مـؤشر الاسـتبعاد فيمكـن إرجاعـه إلى نظريـة التصنيـف الاجتماعـي والعرقـي والدينـي ودورهـا في تعزيـز الافـكار المنمطـة تجـاه الاخـر، وفـق مـا يصطلـح عـلى تسـميته بـ «الارتباطـات الزائفـة» ويشـير هـذا المفهـوم إلى نزعتنـا في إدراك علاقـات أو إرتباطـات بـين متغـيرات غـير موجـودة في الواقـع، كـما يـرى المواطـن الغـربي الابيـض – عـلى سـبيل المثـال- بـأن هنـاك علاقـة بـين الجريمـة ولـون البـشرة السـوداء بسـبب ان كلا الحدثـين في نظـره شـئ غـير عـادي الحـدوث، بمعنـى إنـه لما كانـت الجرائـم نـادرة الحـدوث الى حـد مـا في أوسـاط جماعـة الأكثريـة

(البيض افتراضا)، ووجود أفراد من أقلية غريبة شيئا مميزا وسط هذه الغالبية (السود افتراضا) فأن الجريمة هي نتيجة فعلية بناء على تزامن النادر مع المميز (الجريمة/ كحدث نادر- والسود كأناس مختلفين) وهكذا الحال في نشأة الارتباطات الزائفة بالواقع الطائفي، فقد يعتبر افراداً ما للهوية الطائفية من ارتباط وثيق بالسلوك الانحرافي اذ بسبب ميلنا نحو الارتباط الزائف يصبح تركيز الانتباه على أن الأحداث غير العادية هي من صنع اشخاص مختلفين اثنيا ودينيا عنا بالطبع، وبناء عليه يمكن تفسير اختيار مؤشر الاستبعاد بين المسيحيين والمسلمين بأعتباره نابعا من مسألة القلق على الوجود المسيحي من طغيان الاصولية الدينية بعد انهيار انظمة حكم في دول أخرى وتنامي موجة «الاسلاموية» (Islamphobia) التي يعتبرها المسيحيون في الشرق بمثابة تهديد على وجودهم وما يمكن ان يؤثر ذلك على حرية تحركهم وممارسة معتقداتهم لتنعكس مؤثراتها على الحالة اللبنانية، فبات يلاحظ في الخطاب اليومي ملامح التوجس والخشية

مــن ذوبانهــم في محيــط إســلامي متطــرف، لهــذا يســتدرك المســتجوبون (المســيحيون) قــراءة الواقــع الجيوســياسي الجديــد في الــدول المجــاورة وبــروز تيــارات دينيــة مــع حركــة التغيــير الثــوري ليعــبروا عــن توجســهم ويتمنــون اســتبعادهم مــن المحيــط الذيــن يعيشــون فيــه. إلا ذلــك لا يمنــع مــن التســاؤل: هــل يمكــن تبريــر القلــق المســيحي إنطلاقــا مــن الارتباطــات الزائفــة بــين الحــراك الإســلامي كنقيــض للاســتيعاب والقــول بالاســتبعاد؟ لعــل بمقارنــة مــا توصلــت إليــه الاســتطلاعات مــن معطيــات يظهــر بعــض الإجابــة، حيــث تبــين:

1) تراجع نسبة المفضلين للزواج عند كلا الطائفتين في استطلاع 2012عن الاستطلاعين الآخرين فبعدما سجل أعلى درجاته في السنوات السابقة 28% 20% نجده في <u>الاستطلاع الثالث</u> انخفض عمليا بالنسبة للمسلمين في الارتباط او الاقتران بالاخر الطائفي،

2) ثبات مؤشر الصداقة عند كلا الطائفتين وان خفت نسبته انما بقي على مساره. حيث في مختلف الاستطلاعات سجل اعلى مؤشراته ولعل ذلك يعود الى توسطه خيارات المرونة الاجتماعية الثلاث (زواج- صداقة- جيرة) فذهب

اكثرية المستجوبين لاختياره توفيرا للحرج الاجتماعي او اعتقادا منهم بأن الصداقة ربما تفضي الى علاقة ارتباط او تؤسس لجيرة معينة.

3) تقدم ملحوظ في اختيار مؤشر الجيرة من قبل كلا الطائفتين على حد سواء. فبعدما كان في أدنى درجاته في استطلاعي 2002 و2007 (2 % - 4 %/ 6 % - 12 %) نجد أنه تقدم بشكل ملحوظ في استطلاع 2012..

4) تراوح في مسألة الزمالة، فبعد استقرارها في استطلاعي 2002- 2007 بشكل لافت عند الجانب المسلم نجدها انخفضت الى النصف تقريبا (8 %) في استطلاع 2012، في حين سجل عند المستجوب المسيحي انخفاض ملحوظ بين الاستطلاع الاول والاستطلاع الثالث فبعدما كانت في العام 2002 بما نسبته 32 % انخفضت الى 20 % و22 % في الاستطلاعات التالية. **ما نود قوله حول هذا المؤشر هو انخفاضه عند كلا الطرفين، علما ان هذا المؤشر يتوسط خيارات سبع بين درجات المرونة الاجتماعية الثلاث ودرجات التصلب الاجتماعي الثلاث الاخرى. وبما ان الكثيرون- وخاصة المسيحيين لارتفاع النسب لديهم عنها عند المسلمين- يرغبون في الحفاظ**

**علـى مسـافة إجتماعيـة معقولـة** في العمـل والدراسـة ومجـالات التطـوع وفي غيرهـا مـن الأنشـطة كان اختيـار «الزمالـة» مـؤشراً مفضـلاً للتعبـير عـن رأي.

5) تقدّم على صعيد علاقات المصلحة عند أبناء الطائفة الإسلامية تجاهم مواطنيهم من المسيحيين في استطلاع 2012 بشكل لآفت (16 %) عن الاستطلاعين الاخرين (2 % -6 %) في حين بقيت نسب مؤشر المصلحة عند المسيحيين على ما هي عليه

6) ثبات مؤشر المواطنة عند المسيحيين في الاستطلاعات الثلاث على نسبة واحدة (10 %) وتقدمها بشكل نسبي عند المسلمين في استطلاع 2012 بما معدله ست درجات من 4 % الى 10 % بأعتبار إن المواطنية هي شكل من أشكال الانتماء إلى الوطن والمجتمع، ولكن هل مفهوم المواطنة عند اللبناني ثابت وواضح؟ يرى سوسيولوجي لبناني أن ما يعيشه اللبناني من مواطنة هي مثلثة الأبعاد حيث 1) هو في سياق الإنتماء الطائفي، مواطن في طائفته يدين بالولاء لقياداتها المدنية والدينية ولأجهزتها القضائية ولتقديماتها الخيرية والاجتماعية. وهو 2) يعيش مواطنة جغرافية مثقلة بالرموز والتاريخ البعيد والحديث، وهو 3)

أخيرًا مواطن لبناني ينتمي قانونيًا وحياتيًا إلى الجمهورية اللبنانية ومؤسساتها الدستورية والإدارية والقانونية[9]؛ مما يؤشر ذلك إلى تعددية في مفهوم المواطنة تتجلى في أزمة الإنتماء، فوجود فئات منسحبة من الواقع السياسي أو مغبونة على الواقع الوظيفي أو مهمشة على الصعيد الجغرافي والتنموي يعد مؤشراً من مؤشرات عدم الانتماء لدى قطاعات كبيرة من الناس..والانتماء بحد ذاته يعد بمثابة طاقة نفسية ضرورية وعلاقة وجدانية تمكن الانسان من التعامل مع وضع يرفضه، لهذا تصبح المواطنة الشرط الضروري والمبدئي من اجل بناء دولة مدنية، الا ان هذا يبقى بمثابة التحدي الاساسي للبنانيين في الوقت الراهن للتفاعل مع واقع يرفضونه. ويمكن القول اختصاراً أن حال المواطنة بين اللبنانيين أيّة كانت طائفتهم ليست في حالة اللاانتماء وإنما في حالة وهن الانتماء، تتباين في معدلاتها بين فئة وأخرى بناء على ما يحدث من تفاعل أو تنافر في لحظات سياسية بين أفرقاء أو ظروف مأزمية يمر بها لبنان وقادته.

7) تغير ملحوظ في مسألة الاستبعاد، ففي الوقت الذي الذي لم يختاره أيٌّ من المستجوبين في استطلاع 2002

(صفر% - صفر %) سجل تقدّماً في استطلاع 2007 بنسب متقاربة (8 % عند المسلمين مقابل 12% عند المسيحيين) لكن المفارقة هو تراجعها عند المسلمين (6 %) وتقدمها عند المسيحيين (14 %) في استطلاع 2012، لعل تفسير هذا التقدم عند كلا الطرفين عائد الى ارهاصات الاحداث الامنية والسياسية المتوترة التي ما برحت تؤجج في نفوس البعض توجسا في الاخر الطائفي في امكانية الغائه او مصادرة حقوقه او اختزال وجوده. لهذا ينظر – الاثني اللبناني- الى مسألة وجوده على انها مصيرية وبما ان الاخر لا يفكر به كشريك بات كل منهم يفضل استبعاده من الوسط الذي يعيش فيه. فالمشاكل والاختلالات التي عاناها المجتمع اللبناني كلها أتت من خلال تراكمات لاحداث سابقة، التي وسّعت الفجوة السياسية والدينية حتى اصبحت كل فئة تقف وراء متراس طائفتها للرد على الطائفة الأخرى. وصورة هذا التصارع الطائفي أدى إلى إلغاء التفكير الوطني والى ضرورة التحصن ضمن حدود الجماعة . لقد اصبح لدى البعض شعورا بعدم المشاركة وحينما تشعر فئة من اللبنانيين بعدم المشاركة تتجه نحو الانتماء التعويضي فتحاول ان تعوض غياب

مشاركتها بأساليب حادة ذات نزعة تطرفية واحتجاجية (لهذا لا نستغرب لجوء شباب كل طائفة إلى العنف السياسي والتمرد كونه يعبر عن غبن وانتماء مرضي.) او الانعزال ورفض الالتقاء بألاخر بالابتعاد او طلب ألاستبعاد.

بنظرة الى ابعاد المعطيات الواردة في الاستطلاعات المتتابعة نلاحظ وجود مسافات قائمة على خط متصل بين المرونة الاجتماعية تارة وصلابتها تارة اخرى وانعدامها طورا آخر، وهذا مؤشر هام في ظل التحولات السياسية والاحداث الامنية التي تعصف بين الحين والاخر في المجتمع اللبناني، فمع الدفق الاعلامي الكثيف في التجييش والتحريض يتأثر مسار العلاقة وحد المسافة مع الاخر الطائفي بمقاييسه ومواقعه فهو تارة يتجه نحو الايجابية في احترام الاخر وتقديره وتارة ينحو نحو السلبية والتنافر والحقد والرفض والتجنب والتصادم ولعل سؤالنا المستجوبين في الاستطلاع الاخير (2012) عن **علاقتهم بالآخر، هل:** 1) كانت سلبية وبالتجربة تحولت إلى الإيجابية أم إنها 2) كانت إيجابية فتحولت الى السلبية؟ ينبئ عن حال مراوحة بين الانفتاح والقبول والتلاقي وبين الرفض والكره والاحتقار اذ عبّر اكثر من ثلثي العينة (77

% / 76 %) من كلا الطائفتين عن هذه الحالة في حين أشار من نسبتهم (23 %/ 24 %) بالخيار الثاني..

وبالسياق ذاته عاود فريق البحث وأستطلع المستجوبين عن نظرتهم للجماعة الأخرى في تقييمها بشكل عام؟ لتتفاوت الإجابات بين قطبين رئيسيين: طيب وكريه يتوسطهما تعبيرات محايدة واخف وطأة في التصنيف المتضاد، وتبرير ذلك ان كل لفظ/ موضوع/ موقف/ تصور تجاه فرد او جماعة فيه معنى انفعالي ـ ووجداني (أي مجموع ما تراكم حول الشئ من خبرات انفعالية وعاطفية قد تكون سارة او غير سارة. ومن شأن هذا النوع من المعاني ان يحدد استجابة الشخص حيال الموضوع او علاقته بالاخر) ويختلف هذا المعنى بين فرد وآخر احيانا حتى بالنظر الى موضوع واحد مقصود في تقييمات متناقضة وصفات متفاوتة (حسن- قبيح/ طيب ـ ردئ/ أمين ـ خائن/ منفتح ـ متعصب) كما في البيان التالي الذي وضعه اوزبود للتمايز السيمونطيقي:

طيب:7____ : 6____ :5 _____ :4_____:

3_____:2______:1_____: ردئ،

وعليه طلبنا من مستجوبي العينة مثلا تقدير نظرتهم للاخر: تجاه المسلم (اذا كان مسيحيا) او تجاه المسيحي (اذا كان مسلما)

لتتحصل لدينا توصيفات متفاوتة تراوحت بين التقييم الايجابي والسلبي كما هو مبين في الجدولين التالين:

**جدول رقم 4:**

**توزع اجابات العينة المسلمة**

**في نظرتها الى الاخر الطائفي (الجماعة المسيحية)**

| **تظرة إيجابية**<br>**5-6-7** | **نظرة حيادية**<br>**4** | **نظرة سلبية**<br>**1-2-3** |
|---|---|---|
| مثقفة | متحررة | طائفيين / متكبرة |
| متعاونة / منفتحة | اجتماعية | متعصبين/ متحجرة/<br>متشددين |
| مسالمة | شريكة في الوطن | على خطأ |
| أخوة / رائعة | | مخيفة |
| قلبهم أبيض | | سطحيين |
| محترمين | | كافرة |

**جدول رقم 5:**

**توزع اجابات العينة المسيحية**

**في نظرتها الى الاخر الطائفي ( الجماعة المسلمة)**

| تظرة ايجابية<br>5-6-7 | نظرة حيادية<br>4 | نظرة سلبية<br>1-2-3 |
|---|---|---|
| محب | لا يهمني امره | سماته الغدر |
| محترم | محافظ | متعصب / |
| متعاون | انساني | لا يخاف الله |
| مسالم | مغلوب علي امره | لا يحبون الخير لاحد |
| صداقتهم طيبة | لبناني مثلي مثله | سيء |
| متفاهم | ------ | منغلق |
| ------ | -------- | حاقد |
| ----- | ------- | عنصري/ متحيز |
| ----- | -------- | متخلف |

بناء على طريقة فحص التقييمات لآحظنا جملة من التصورات (concepts) والتقديرات (rates scales) تجلت في اتجاهين احدهما سلبي شديد والاخر ايجابي وبينهما خيارات اقل حدة اتسمت بـ"الفاترة" او الوسطية، وتنبئ عملية التوصيف هذه موجة من الصراع والكراهية تسود اليوم لدى الجماعات الاثنية والقوميات المختلفة في اي

مجتمع، وتصل ببعضها احيانا الى حد التصريح بأستخدام العنف او التعبير بعبارات نابية في نعت الاخر، والحقيقة ان معدلات الصراع تختلف بأختلاف الاسباب التي تدفعها الى الظهور، وثمة اسباب عديدة تقف وراء ظهوره حيث هناك الاسباب الاقتصادية وهنالك الاسباب السياسية وهناك الاجتماعية والتاريخية والدينية والنفسية. التي تعمل جميعها على تعزيز عنصر الاختلاف في الانتماء لتضيف اليها تصنيفاً يوقع الناس في فخ المقارنة للتفضيل بين فئة أرقى= فوق، وفئة أدنى= تحت، كأشارة الى وجود نوع بشري راق وآخر أقل قيمة وشأناً وبهذا التصنيف يتأسس التمييز وعدم المساواة في المجتمع ويأخذ الصراع المبني على الطائفة وجه النفور من الاخر المختلف [10] والتوجس والحذر والخوف منه، حتى تتخذ شكل "النحن التعصبي" المتمثل في التناصر والتعاضد والالتحام وصولا الى حالة الدفاع عند المواجهة. على ضوء ذلك يصبح التعصب آلية الغلو والقطيعة التي تذهب الى حد الشطط في ادعاء الحق والكمال للذات في مقابل أستنكار ما يكون غير ذلك، والتصدي للضد بالقوة وصولا الى أخضاع الاخر في الرأي أو في أنكار وجوده، أنه- أذا كان فرديا- التشّنج المفرط في

الموقف والسلوك، كما أنه – أذا كان جماعياً- الانتماء الى جماعة والتوّحد بها بحيث تصبح مرجعية تحديد الهوية والوجود لكل من الداخل (النحن) مقابل الخارج (الاخر) حتى يصبح هناك أنشطار أنفعالي واضح (split-off) ويُقصد به في لغة التحليل النفسي ذلك الفصل القاطع بين نزوة الحب ونزوة الكره، حيث يُوّجه الحب الى موضوع/ موقف/ جماعة، حتى يصبح في مرتبة المثال وغالبا ما يكون بما هو عليه الانا، ويُوّجه الكره الى موضوع آخر فيُصبح نموذجا للرذيلة ومجّسدا للشر وهو ما لدى الاخر. وهذا ما ذهبت اليه نظريات عدة منها:

- ✓ مدرسة التحليل النفسي التي ترجع كل السلوكيات المتطرفة إلى أسباب نفسية خالصة، كثيراً ما تكمن في العقل الباطن أو اللاشعور. فعلى سبيل المثال، ذهب بعض أصحاب هذه المدرسة الى القول بأن التعصب كالعدوان الذي يظهره الفرد على شكل طاقة انفعالية لابد لها من متنفس، ويتخذ لذلك موضوعاً معيناً تفرغ فيه الشحنة الانفعالية الزائدة، وإذا لم يتمكن العدوان من أن يصل إلى مصدر فإنه يلتمس مصدراً. قد يكون فرداً معيناً أو جماعة معينة أو موضوعاً معينا إدراكاً إيجابياً

محباً أو سلبياً كارهاً دون أن يكون لذلك ما يبرره من المنطق أو الشواهد التجريبية. وهكذا يصبح التصلب تلك السمة التي تكشف عن نفسها في العجز النسبي عن تغيير الشخص لسلوكه أو اتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك، والتمسك بطرائق غير ملائمة للشعور والسلوك، أي مقاومة اللجوء إلى أنواع جديدة من الاستجابات التكيفية لهذا وحسبما تشير الدلائل ثمة علاقة وثيقة بين التصلب والاتجاهات التعصبية

- ✓ ونظرية يوهان غالتونغ احد مؤسسي علم دراسات الصراع والسلام في العالم الذي اهتم في تحديد الابعاد الاساسية للصراع والعنف بمثلث قوامه: **الاتجاهات** (وتشمل المشاعر والقيم من انعدام ثقة/ خوف/ كراهية/ انطباعات سلبية/ صورة نمطية تجاه الاخر) **والسياق** ( ويتمثل في طبيعة البنية المحلية التي تتسم بالتمييز وعدم المساواة) **والسلوك** (الذي يظهر في رفض الاخر والتعايش معه او في ابداء تصرفات عدائية مع غياب الاحترام المتبادل)، هذه الابعاد الثلاثة تتفاعل مع بعضها تأثرا وتأثيرا وهذا التأثر قد يأخذ منحا سلبيا يتمثل بمظاهر الرفض والابتعاد والاتجاه نحو السلوك العنيف

او منحا ايجابيا يتمثل بقبول الاخر والتعايش الطيب معه[11].وهكذا يمكن- وبحسب نظرية غالتونغ- تفسير الحدة القائمة بين الاثنيات بناء على العلاقة التفاعلية بين البنية – السياق (البيئة، كيف تُنشئ؟) الاتجاه (المكون النفسي –العقيدي – الذهني، كيف ينّمط؟) والسلوك (الواقع العملي، كيف نتصرف؟) على سبيل التوضيح نلاحظ ان طبيعة الظروف الاقليمية التي تتسم بعدم الاستقرار واستمرارها في حالات الصراع مصحوبة بمناخات اعلامية او تدخلات خارجية مباشرة توّلد اتجاهات سلبية لدى الشباب اللبناني تجاه هذا «الخارج» كالشعور بالاحباط من الازدياد المستمر في الحروب والصراعات مضافا اليها عدم الثقة بالشراكة الوطنية واحيانا كراهيتها، الامر الذي يترجم لآحقا بسلوك رافض للتعايش. هذا المثال يبين العلاقة بين الابعاد الثلاثة وكيف ان البنية قد أثرّت على التوجهات وان التوجهات أثرّت على السلوك.

## في الاستنتاج:

تعكس هذه المؤشرات دلالات هامة على ان المجتمع اللبناني

في كوة تكوينه توليفة عدة جماعات طائفية، تقوم من حيث درجة تفاعلها وفق مجموعة من السياقات الاجتماعية وهي:

النزاع، التعايش والانصهار،

- ولكن مع تشدد بعض الجماعات على هوياتها الخاصة على حساب الهوية اللبنانية وتتمتعها بأمتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية دون الجماعات الاخرى او على حسابها.

- وبناء على تصنيف باحثون اجتماعيون(**) لبنان- سوسيولوجيّاً- واحدا من بلاد الرعب الطائفي بعد تشاد ونيجيريا واثيوبيا.

يُظهر لنا الواقع الماثل آنيا – ونحن على عتبة العام 2013- تمسك الجماعات المختلفة بهوياتها الخاصة بدل ان تتحرر منها، وبسبب هذا الواقع يبقى المجتمع اللبناني مجتمعا فسيسفائيا يتراوح بين التعايش والنزاع، تزداد حدة التنازع عند مفترق الاحداث الامنية والتطورات الاجتماعية التي ترسي حالة من «القلق الوجودي» مما يجعل هؤلاء القلقون يعملون على تركّز اثني تتجلى معالمه في رسم مسافات اجتماعية وحدود علاقة مع الآخر المختلف لا تخفي في طياتها مآزم التباعد والتجنب والنفور. وفي ظل القلق يطل

دعاة الوحدة والتعايش للعمل على التخفيف من حدة الخطاب المتوجس كخطوة نحو بناء اخوة وطنية قائمة على تقارب وتفاعل بعيدا عن اي تشنج وتوتر، إلاّ أن مثل هذه الخطوة لم تكن لتتم في دول عديدة نجحت في طمس معالم التفرقة والتمايز بين مواطنيها في إنتماء ونمط حياة واحد، إلا بعد قيامها بجهود تربوية جادة وبناءة تبدأ مع التنشئة الأولية في الأسرة والمدرسة، فتكريس ثقافة وطنية تعززها وسائل الإعلام وأماكن عبادة خالية من دعاة التطرف والتعصب، فضلاً عن تعاهد قادتها على تداول خطاب سياسي عاقل ينزع نحو التعالي على الضغائن ويحث على التحاور لبناء علاقات إجتماعية صحيحة

بينما في التجربة اللبنانية الحال مختلفة فسوء إدارة الوضع السياسي بعد الطائف، حال دون قدرة النخب اللاطائفية على بناء أو تفعيل أوعية المواطنية الحقة فـ"الخواء السياسي امتدَّ في الأرجاء اللبنانية ليُمسي أشد كثافة وانضغاطًا فإذا الانتظار والأمل يستحيلان ضربًا من سلوك استسلامي حيال الإرادات الطوائفية، لقد بدا الاستغراق في الرهان على سلطة الطائفة أشبه بأيقونة مقدَّسة وفي الصورة المقابلة ما يؤمئ إلى أنَّ الجماعات ذات التفكير العلماني أو المدني لاذت بالصمت

حيال السائد السياسي «الجيو- طائفي». ثم مضت في رحلة العزوف والكسل والإعراض عن العمل السياسي الجدي، حتى أن مطارح في زمن العنف حلَّ فيها مثقفون راحوا يرفعون رايات طوائفهم، ويحاربون بسلاحها، بعدما سقطوا في إغواءات شعائرها وأحكامها"[12] على هذا النسق ظلَّ المثقّف اللاطائفي أسير شبكة استقطابات فرضها منطق لعبة الطوائف مجتمعة مثلما افترضها عليه سلوك كل طائفة تجاه أبنائها في إطار سيادتها المناطقية والحزبية والاجتماعية. هنا تتحول الطائفية الى مشروع للتفريق والتباعد بين أبناء الشعب الواحد من خلال التعصب للتفكير الطائفي الجمعي الذي يستخدم الدين او أي نسق عقائدي اخر بشكل سلبي، فيؤدي ذلك بدوره الى احتضار مقومات التقارب والوحدة الوطنية وحتى الرابطة الوطنية التي ينسج منها المجتمع المدني خيمته الآمنة لنشر قيمه في الحوار السلمي والتعايش المشترك بين أبناء الشعب الواحد.

ومع استحكام حلقات النظرة الطائفية الضيقة وتبلورها في صيغة سلوك متعصب يستسيغ البعض الميل الى العنف والقوة والقهر في فرض تصوراته على مخالفيه او حتى القضاء عليهم، منتجا بذلك حالة من الكراهية المتنامية والمتبادلة

والسلوك العنفي الاستجابي من باقي الطوائف او التيارات المستضعفة في المجتمع الذي سيدخل عندها في اتون دوامة من العنف المتبادل وانعدام الاستقرار، وهو أحد أهم مهددات الأمن العام والسلم الاجتماعي. لقد أدت مثل هذه الخلافات الى نزاعات طائفية مسلحة تستبيح الدماء والحرمات؛ فأنقسمت بعض المجتمعات انقساماً عمودياً حسب الطوائف، وغابت مرجعية الدولة الحديثة الرئيسة، وتضاءلت مع غيابها مفاهيم المواطنة والمساواة والعدالة والحريّة على النطاق الفردي، ومفاهيم الديمقراطية وتداول السلطة وفصل السلطات على النطاق المجتمعي والسياسي.

وإذا كانت الطائفية التي تزعزع التاريخ السياسي للبنان وتهدّد كيان وحدته، وإن الأزمات التي يمر بها لبنان هي أزمات مذهبية أو في قليل من الأحيان لها البعد السياسي الصاخب. وان "المشكلة اللبنانية هي مشكلة عيش حقيقي بين الطوائف، فأنه يجب التفتيش عن مكونات صلبة لقيام النظام السياسي الحديث يقوم على مبدأ المواطنة أي أن نحمل مفهوم الإنسان كقيمة للإنسان نفسه لا أن نترك الإنسان عرضة لمزاج زعيم الطائفة وتعلقه بمذهبه وطائفته. من هنا الفكرة

الأساس أن يُحترم اللبناني كفرد...كأنسان[13]

ان اخطر ما يواجهنا في عملية انجاز العفو وطي صفحة التوترات وبناء الدولة هو المسألة التعصبية المتشابكة مع أصل التصور الطائفي الذي هو نتاج علاقة الديني بالسياسي وبناء عليه لا يمكن حل مشكلة العيش مع الآخر، الذي نختلف معه كشركاء في وطن واحد وفي ظل دولة واحدة نريدها عادلة ومتوازنة الا اذا وعينا حقيقة انتمائنا لوطن/ لآرض والا اذا كرسنا وجودنا في الايمان الفعلي بأننا أبناء مجتمع واحد على اختلاف تنوعه الاثني والديني. والا اذا ادركنا بأن هدم أسس التعصب يتم من الداخل، فلا بد ـ والحالة هذه ـ من وضع حد للتقويض الشامل نحو سبل التقارب والعمل على استشراف وتأسيس مجتمعاً ينفتح فيه الجميع مع الاحتفاظ بثراء التنوع والاختلاف.

سأل الرئيس اللبناني ريمون إده وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية هنري كيسنجر ذات يوم: ما سبب قيام الحروب على أرض لبنان؟ فكان جوابه أن "الزلزال لا يصيب إلا الأرض المتصدعة"، الا يفترض مثل هذا الكلام أن يدفعنا نحو السعي لإحداث تغيير جذري في القاعدة الفكرية

عند هذا الشعب اللبناني "العظيم"؟ وبالتالي اذا كانت الطائفية هي البنية المتصدعة الا يجب البحث عما يمتن وطننا من الاهتزازت المرتقبة؟

## الهوامش:

1) "how much diversity is too much" (article), Edmonton journal, 17/ 9/ 2008

*) ذكرت وكالة الانباء المركزية- بأن حركة الاتصالات المتسارعة على اعلى المستويات في الدولة اللبنانية قد افلحت في احتواء مفاعيل عرض مسلسل "السيد المسيح" الايراني الانتاج والمدبلج الى اللغة العربية عبر محطتي "المنار" والـ"ان.بي.ان" الذي كاد يفجر ازمة طائفية لما يتضمنه من "مغالطات مسيئة" الى جوهر الديانة المسيحية ومضمونها وقلة احترام للوحي الالهي لشخص السيد المسيح من وجهة النظر المسيحية. تتابع الوكالة وكان المكتب الإعلامي لبطريركية الروم الملكيين الكاثوليك اعتبر "أن الإصرار على متابعة عرض مسلسل (المسيح) الذي هو نتاج سيناريو إفتراضي مستوحى من "كتاب برنابا" المنحول والذي هو بذاته شهادة زور واضحة ضدّ الإنجيل والقرآن، كما أنّه يحرِّف التاريخ ويتنكّر للحقائق، ويطعن القيم التي تقوم عليها المسيحية في ركائزها الروحية والعقيدية، من شأنه أن يخلق حالة من الإشمئزاز والتباعد بين أبناء الوطن ويؤسس لتباينات حادّة، نحن بغنى عنها"…. وقد لا تقتصر الإساءة للأديان والاستهزاء برموزها على الأفلام بل تتعداها إلى الرسم والتصوير؛ كما في قضية الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول محمد والتي تسببت في مقاطعة لا بأس بها للمنتجات الدنماركية في العالم الإسلامي كرد فعل على إهانة النبي والاستهزاء به. كذلك الاعتراضات التي

صاحبت عرض أفلام مثل «دافينشي كود» أو «الإغراء الأخير للمسيح» خير دليل على ذلك. حيث احتجت الكنيسة الكاثوليكية على الفيلم الأول المأخوذ عن رواية بنفس الاسم بسبب تعرضه للكنيسة واتهامه لرجالاتها بإخفاء حقيقة وجود ذرية للسيد المسيح على الأرض تخفيها الكنيسة عن أتباعها حرصا على نفوذها.

2) مقالة حول: الاختلاف بين الأديان، موقع « Alexandria 415 alexandria415. /wordpress.com/tag

3) سيكولوجيا العلاقات بين الجماعات / مجلة عالم المعرفة/ العدد 326 تأليف د.احمد ابو زيد نيسان 2006/ المجلس الوطني للثقافة والفنون وألآداب/ الكويت

4) انظر صحيفة السفير اللبنانية: 28 /5/ 2011

5) سيكولوجيا العلاقات بين الجماعات / المرجع نفسه

6) د.فردريك معتوق: جذور الحرب الاهلية ، منشورات دارالطليعة، بيروت ،

7) د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1991

8) د.فردريك معتوق / المرجع نفسه

9) د.ملحم شاوول، مفهوم المواطنة في التجربة الغربية والتجربة اللبنانية، مقالة مشاركة ضمن كتاب بعنوان: "إشكالية الدولة والمواطنة والتنمية في لبنان، تحرير جاك قبانجي، دار الفارابي، بيروت 2009، ص 85.

10) د.اوغاريت يونان، كيف نتربى على الطائفية، منشورات حركة

حقوق الناس/ دار الجديد، بيروت 1997

11) سناء موسى، اتجاهات الشباب العربي نحو العنف واللاعنف وحوار الحضارات، مركز عالم المعرفة لاستطلاعات الرأي، منظمة فور شباب العالمية، البحرين، 2012

(**) رأي اورده د.حليم بركات في كتابه: المجتمع العربي المعاصر عن احد الباحثين اللبنانيين، مرجع سبق ذكره

12) أطروحات المواطنة والطائفية في لبنان الإمكان بين مستحيلين، (مقالة)، محمود حيدر، مجلة الدفاع الوطني الأربعاء, 10 تشرين الأول, 2012).

13) د. بولس عاصي: الطائفية والمواطنة في لبنان (الواقع الطائفي ودولة المواطنة في لبنان www.almaaref.org/books/contentsimages/books/

**كتب باحث أمريكي زار لبنان عام 1921 برسالة إلى والده يخبرها فيها عن عوائد اللبنانيين ومعاشهم، إلى أن قال:**

**"... ومن الغريب أن اصحاب هذه البلاد أهل دين وعصبية وطائفية في اقوالهم ومظاهرهم وأحقادهم، ورغم كثرة الكنائس والمساجد والمعابد تجدهم من أكبر الملحدين فهم لا يؤمنون بشيء"**

# المحور الثاني

## الاتجاه التعصبي والمزاج اللبناني:

### (الشعارات الجدارية والمواقع الالكترونية نموذجاً)

## مدخل:

يكثر الكلام لبنانياً عن آفة التعصب وتداعياتها الخطيرة في شتى المستويات الاجتماعية والتربوية والسياسية، كما كثر الحديث عن وجوب استئصال «الطائفية» كمسبب لها من النفوس قبل النصوص. وعبثاً يحاول الغيّرون على العيش المشترك ودعاة الوطنية بالعوة إلى «وطن خال من التطيّف» إلا أن دعواهم تتلاشى أمام نزعة الاتجاهات التعصبية القائمة التي تبرز الى العلن عند كل مفصل من مفاصل الحياة السياسية ليذهب البلد نحو حال من التقوقع والتمرس خلف المذهبية او التوجه الحزبي أو التركيبة المناطقية المتسمة بلون طائفي. واكثر ما يدعو الى الخيبة ازدواجية المواقف والتوجهات بين المبطن والمعلن ازاء شعارات العيش المشترك والسلم الاهلي. فالتوجهات الذهنية الملبننة (خاصة السياسية منها والاعلامية) سرعان ما تحتد عندما تطلقها منابر جبهات الصراع والعديد من الاحزاب والتنظيمات

الشبابية في وسائل اعلامية عدة تفضي الى حالة من التجييش الطائفي وحتى المذهبي والنظر الى الاخر على إنه «عدو» له بسبب انتمائه الى «قطيع» يختلف عنه.

إذ بعودة إلى شعارات وخطابات السنوات الثمان الماضية يُظهر لنا الواقع كما كانت الوسائل الاعلامية أقل موضوعية وحيادية، بل مع ظهور الساحة والساحة المضادة، الشارع والشارع المضاد، المواقف والمواقف المضادة، الشعارات والشعارات المضادة. دخل الاعلام  بدوره حرب التضاد فبرز الى العلن «**كرأي له حراب**» على حد تعبير ريجيس دوبريه حتى أفرز بدوره وفي شكل علني انقساما نفسيا حادا وتباينا طائفيا وتصارعا حزبيا متوترا انعكس على علاقات الناس اليومية تجاه بعضهم البعض .. لدرجة:

- ✓ حدوث عمليات نقل الاولاد وتغيير مدارسهم عملاً بالانتماء الطائفي وليس حسب المستوى التعليمي.
- ✓ ترك العديد من العاملين لوظائفهم الخاصة نتيجة مضايقات مذهبية وحساسيات سياسية
- ✓ حـــراك ديموغـــرافي تمثـــل في تغيـــير اماكـــن الســـكن

من منطقة إلى منطقة أخرى

- ✓ مقاطعة محلات لبيع الألبسة من أشخاص يختلفون معها مذهبياً أو سياسياً
- ✓ في الدوائر العقارية الزبائن يشترون من البائع الذي ينتمي إلى جماعتهم
- ✓ عروض المشاريع العمرانية ومقاولي ورش البناء دخل في اللعبة المذهبية أيضاً
- ✓ "محطات الوقود والمطاعم" أصبح روادها ضمن المذهب الواحد أو الطائفة الواحدة

في ظل هذا الواقع وما أفرزه من مشاعر الحقد والكراهية والتمييز أخذنا نفترض بأن ثمة عوامل عديدة تلعب دورها الناشط في تعزيز الاتجاهات التعصبية ويمكن اعتبار وسائل الإعلام وأخصها: الاعلام المرئي العامل الأبرز واللاعب الرئيسي في تعزيز هذه الاتجاهات السائدة في الشارع اللبناني. وعليه نتساءل:

1. هل فعلا كانت وسائل الاعلام هي المحرض كما تدعي نسب بيانية من الرأي العام؟
2. هل كانت مجرد ناقل "بأمانة" لصورة

الواقــع والشــارع؟ ام لعبــت الغريــزة المذهبيــة دورا في الانتقـــاء والاجتـــزاء

3. هل انسحب امر التجييش والتحريض على وسائل دون اخرى وكيف استخدم الاعلام الالكتروني ووسائل تواصله الاجتماعي؟

4. من يؤثر بمن: هل الاعلام هو السبب في تعزيز واثارة النزعات والاتجاهات التعصبية، أم أن المعادلة كانت معكوسة حيث خلف هذه الوسائل كان هناك أفرقاء متعصبون وما وسائلهم إلا بُوقاً للتعبئة ؟

# المصطلحات والمفاهيم

## أولا: الاتجاه التعصبي:

يرى علماء التحليل النفسي ان التعصب يؤدي وظيفة نفسية خاصة تتلخص في التفريغ عما يختلج في النفس من كراهية وعدوان وتوتر مكبوت وذلك عن طريق: الإزاحة والإبدال دفاعاً عن الذات وعمّن تحبه، فالتعصب الديني قد يكون كرد فعل او تكوينا عكسيا لرغبة عنيفة عن الايمان تتوخى النفس من عواقبها شراً، والعكس قد يكون (التعصب ضد الدين/ الإلحاد) هو أيضاً تكويناً نفسياً لميول عنفية نحو التمرد على سلطان الدين أو أيّة سلطة مهما كان نوعها. وعليه يفهم التعصب على انه اتجاه نفسي مكتسب ومتعلم تحدده المعايير التي يتعلمها الاطفال من والديهم ومعلميهم وافراد الجماعة من مؤسساتهم المنغلقة ووسائل إعلامهم الخاصة وسائر عوامل التنشئة الي قد يمر بها الفرد المتعصب، اما عند بعض اللبنانيين فيمكن تصنيف العوامل المساهمة في نزعة التعصب بعوامل تتعلق بـ:

1. عوامل الرغبة بالتميز الذاتي عند جماعة معينة بحد ذاتها عملا بموروثات ثقافية بأنها الافضل مما يدفع مثل هذه الشعور إلى تقوية الاتجاه العنصري بأحتقار الاخر والتعالي عليهم
2. عوامل تتعلق بالأفكار المسبقة عن جماعة ما ويتناقلها افراد المجتمع كصفات خاصة بهذه الجماعة قد تثير النفور والاشمئزاز ومنها ما يثير الخوف والغضب.
3. عوامل تتعلق بالانتماء حيث تعتبر الجماعات إنها من سلالة مختلفة أو أديان مختلفة فيتعزز لدى هؤلاء نوعاً من الأنوية الثقافية
4. عوامل تتعلق بندرة التفاعل الاجتماعي التي تصبح بمثابة ارض خصبة لنمو التوجس والنفور، فعندما يجهل الفرد الاخر والجماعة تتبعد عن الاخرى تتنامى الافكار الغريبة وتتجه نحو الانغلاق.
5. عوامل تتعلق بحجم الاقلية موضع التعصب، فكلما ازداد حجم الاقلية ازاء اقلية اصغر كلما زاد مسار الاتجاهات نحو التعصب.

6. عوامل تتعلق بأحداث سياسية بين جماعات متواجدة في مجتمع واحد حيث يأخذ التجاذب والتصارع على السلطة والقرار وجه التحريض الديني والتجييش الطائفي والشعور بالاضطهاد
7. عوامل تتعلق بالواقع الإجتماعي وتوزع الوظائف بين جماعة على حساب جماعات اخرى مما قد تعمل على توليد الحقد والاستياء من تولي احدهم لمنصب ما دون آخر من جماعة اخرى فيشعر هؤلاء بالغبن والقلق فيكون التحريض وسيلة لتغطية هذا القلق.
8. عوامل تتعلق ـ وهذا هو الاهم وما يعنينا في هذا المقام- بوسائل النشر والاعلام والتثقيف، التي يمكن اعتبارها احدى الطرق في تعزيز الاتجاهات التعصبية أو المساهمة في التخفيف من حدتها حيث يمكن لمثل هذه الوسائل أن تقوم:

a) أما نشر المعلومات الوافرة عن موقف معين واعطائه صبغة تعصبية.. أو نشر أخرى فيها من الموضوعية والحقائق للحد من نزعة التعصب

b) أمـا نـشر الوقائـع المسـتفزة والمثـيرة والتـي تلعـب

علـى الوتـر التعصبـي الحسـاس، وأمـا أن تنـشر المبـادئ الديموقراطيـة والقيـم الإنسـانية ومفاهيـم التسـامح الانسـاني.

c) أما نشر الاحداث التي من شأنها ان تعيق وتحظر من وجود الجماعات وتصرفات الجماعات الاخرى وأمّا تعمل على تشجيع التواصل الفعلي بين الجماعات في اطار موضوعي حتى تتكون ظروف المعايشة والمخالطة والتعاون المتبادل

d) أما نشر مساؤى التقوقع والاتجاهات التعصبية وسلبيات الإنزواء والإنطواء وأمّا أن تظهر عيوب التعصب ومضاره النفسية والإجتماعية والوطنية بالنسبة للمتعصبين ولجماعاتهم وللوطن بشكل عام.

9. عوامل تتعلق بالحكم المسبق والذي يمكن إرجاعه إلى الفهم الخاطئ الذي يظهر في صور متعددة منها:

أ) النمطيـة (stereotypes) وهـي التفكـير المتصلـب أو القـول الثابـت تجـاه فـرد أو جماعـة مـن قبـل آخريـن بأنهـم كـما يفهونهـم وكـما يقـال عنهـم ولا يقبلـون

النقاش أو حتى التأكد من صحة ما يقال

ب) التفكير الحتمي (all-or-nothing thinking)، أي الحكم دوما بنعم أو لا، إنه الرأي الجازم بثنائية واحدة أما أبيض وأما أسود، وعليه يتعامل أصحاب هذا التوجه التعصبي مع الناس والمواقف على انها اما سيئة واما جيدة..

ج) الحكم الخاطف (snap judgments)، وهي الاندفاع للتعبير او إتخاذ القرارات والمواقف دونما تمهل وقبل التأكد بجمع المعلومات...ليأتي حينئذ الحكم منتقصا لان المعلومات الواردة غير وافية

د) الافتراض غير المضمون (unwarranted assumptions)، ويحدث ذلك حينما يعتقد البعض بأن ما لديه من معطيات هي الاصح .

هـ) الإسقاط (projection) وهي التقدير غير المنطقي في نظرة الناس الى الامور بناء على حسابات ذاتية وليست موضوعية.

و) فرض التعميم (sweeping generalization)، وهي الحالة التي يتولاها بعضهم بتعميم موقف/ رأي على جميع الاحداث أو الأشخاص بناء على

تجربة واحدة فقط.

ز) سلبية الانطباع الاول (negative labelling)، ويحدث عندما يتولى أحدنا الحكم على ما في شخص/ جماعة ما بما لديهم من سمة واحدة سيئة والتغاضي عن سمات كثيرة إيجابية.

من التعريفات المقدمة لمفهوم التعصب ما قدمه الباحث السيكولوجي نيوكومب وآخرون ومؤداه أن التعصب: «**أتجاه بعدم التفضيل، يمثل إستعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد لأشخاص آخرين، لكونهم أعضاء في جماعة معينة**» وفي هذا السياق يعرض الباحث النفساني مصطفي حجازي في مؤلفه «حصار الثقافة»[1] محددات التعصب على ما قدمه جمال الدين الافغاني من ان «التعصب هو النعرة (التي مرجعها) رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد ومن توسيع الاستعمال يطلق على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم البعض» وتكمن اهمية هذا التعريف ليس في دلالته النظرية فحسب وإنما في إشارته للوظيفة النفسية في تعزيز عصبية الجماعات عموماً والجماعات الاصولية على وجه الخصوص من تلاحم ووحدة وتماهي

متبادل وافتخار بالانتماء وسمو مرتكزاته.

وهو ما يبينه ناصيف نصار في كتاب له عن التعصب[2] حينما ميز بين التعصب الفردي (وهو التعصب الذي يتخذ طابع التشنج المفرط في الموقف والسلوك) والتعصب الجماعي الذي يرتبط بالانتماء الى جماعة ما بحيث تصبح مرجعية تحديد الهوية والوجود، ويبلغ التعصب أقصاه في النوع الثاني حينما يكون تعصباً لعقيدة متجسدة في جماعة، وفي هذه الحالة يصبح التعصب مزدوجا: للعقيدة وللوجود الموضوعي للجماعة ومصالحها وحينئذ يكون بعد الغلو النفسي وتمايز الجماعة عن الخارج والغاء امكانات اللقاء مع الاخر هو القاسم المشترك بين حالات التعصب حيث تصبح علاقة «النحن» في مقابل رموز / فئات وجماعات مجسدة للشر.

وإنطلاقاً من التحديد االمفاهيمي الذي قدمه العديد من الباحثين امثال معتز سيد عبدالله [*] واندرية هاينال وميكلوس مولنار وجيرار دي بوميج [**] على أن التعصب عبارة عن إسقاط نقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين الذين يعتبرهم كبش فداء أو ضحايا وهنا يعتبر التعصب إحدى حيل الدفاع، وحيث تقول هذه النظرية إن الإحباط يسبب العدوان ويكون هناك محاولة لكف العدوان ضد المصدر

الحقيقي للاحباط وهذا ما يسبب ازاحة العدوان على جماعة اخرى، هذا يعني ان التعصب يحدث عن طريق حيلة «تحول المخاوف» لدى المتعصبين من تهديد المتعصب ضدهم لكيان ومكانة وذات المتعصبين[3].

وعليه نتساءل هل ينسحب هذا الافتراض- المفهوم على الواقع اللبناني؟

في دراسة ميدانية بالعينة[4] بعنوان: الاتجاهات التعصبية والدينية عند الشباب الجامعي (الجامعة اللبنانية / 2010) سئل كل فرد بالعينة بشكل صريح فيما اذا كان يعتبر نفسه متعصبا، ليعبر من نسبتهم (**54 %**) بأنهم فعلا كذلك مقابل (**21 %**) عكس ذلك، بينما امتنع من نسبتهم 25 % عن الاجابة .. ولدى سؤال افراد العينة عن أنواع التعصب الموجودة في عالمهم تبين التالي:

**جدول رقم واحد 1: توزع المستجوبين بحسب أنواع تعصبهم:**

| نوع التعصب | النسبة المئوية |
|---|---|
| تعصب ديني ( يتفق مع طائفته مهما فعلت ) | % 29 |
| تعصب سياسي<br>(يؤيد سياسة زعيمه مهما كان مساره) | % 39 |

| | |
|---|---|
| **تعصب اجتماعي ( لا يرافق الا اناس من مذهبه ولا يسكن الاضمن منطقته)** | **10 %** |
| **تعصب ثقافي ( ينحاز الى جماعته ويسّفه عادات وتقاليد الاخر )** | **6 %** |
| **تعصب آخر وهو** | **صفر %** |
| **لا تعصب** | **8** |

وعند التوجه لهؤلاء الشباب بسؤال مفاده: من تعتقد هو السبب في تعزيز اتجاهات التعصب؟ فأرجع من نسبتهم (38%) السبب الى رجال الدين، و(33 %) لرجال السياسة، في حين ألقى من نسبتهم (25%) باللائمة على وسائل الاعلام.

وبما إن الإعلام يعتبر واحداً من أبرز العوامل المساهمة في الإتجاهات التعصبية، ارتأيت أن أرصد بالملاحظة أهم مظاهر التعصب فتوقفت عند مختلف وسائله وخصوصا المرئية منها، أحداها تقليدية واعني بذلك «الشعارات الجدارية» وأخرى معاصرة واقصد بها «المدوّنات» ليس بأعتبارها نماذج لما يكتب ويقرأ بل بأعتبارها مساحات تعبير تنبئ كتاباتها وصورها عما «يختلج في النفس من مكنون»

قد يبدو ظاهريا في صورة كلمات وصور وتعابير ورموز من الاثارة للنعرات واذكاء روح الاستفزاز والعدائية، وحيث ـ وربما هو الاهم ـ لا يُدرك من خلف هذه الوسلتين فكلاهما مغموري المصدر والكاتب والمحر ر، كما أنها على طرفي نقيض فالاولى «هي لسان حال الفئة الشعبية البسيطة الفكر والتعبير»، بينما المدونات قد تكون اكثر احترافا ودلالة على اناس من ذوي الطبقة المثقفة ، اننا هنا - وازاء من يكتب؟ وكيف يكتب؟ والمدى الثقافي لما يكتب؟- امام فئتين :

- ذوو الثقافة الرفيعة (HIGH BROW) وهم الذين ينظرون الى الوسيلة الاعلامية (المدونات) وانتاجاتها وموادها كتعبير فني محترف ، يحصلون منها على اشباع فكري لناحية جودة التنفيذ .
- ذوو الثقافة الدنيا (LOW BROW) وتختلف غاية الاستخدام بالنسبة لهؤلاء إذ ربما تكون تنفيسا عن قهر مكبوت، أو تعبيراً عن مزاج شعبي تتنوع مظاهره:

1. إما تأييداً لموقف سياسي / اجتماعي/ أمني ما.
2. إما معارضة لتوجه حكومي أو حزبي أو فكري إيديولوجي

3. إما تأكيدا على مواقف لمرجعيات
4. إما إثبات وجود عبر تبيان هوية وتوجه ابناء المنطقة التي كتب فيها .,
5. إما الدعوة الى اتخاذ موقف في الالتزام بخيار ما (مقاطعة / رفض/ انضمام/ مشاركة..)
6. إما للتحفيز، اي اعادة تذكير، تجييش او تحريض

وعملا بتقنية الملاحظة وتحليل المضمون رصدت كمّاً من المعطيات والصور عن الحالة التعصبية التي يطلقها اللبناني عند الازمات السياسية والامنية العاصفة، لتنقلب هذه الوسائل "ابواقا" عما يجول في الخاطر لمواقف واتجاهات.

## ثانيا- المزاج:

المزاج – سيكولوجيّاً - حالة ذهنية تظهر على الإنسان كرد فعل على حدث مسبق يترك آثاره على حالته العامة (جسميا ونفسيا) وبناء على هذه الحالة الذهنية يتصرف أو يحكم أو يقرر أو يعبر إزاء ما يعنيه، ويمكن للمزاج كما الاتجاهات ان تقاس بالتحليل السيمونطيقي (بحث في دلالات اللغة وابعاد المعانى سواء كان ذلك لفظاً أو كتابة أو انفعالاً) وعليه يظهر المزاج:

- اما بصورة "انفعالات" تظهر ايجابيا في مستويات السرور العالية والمتوسطة مع مواقف الحماس وتحقيق الانجازات. وأما سلبيا مع حالات الشعور غير السارة في مواقف الحياة والتي تتجلى في صورة عدم الرضا (DISSATISFACTION) وسورات الغضب (NERVOUSNESS) حدة الطبع (IRRITABILITY).
- وأما بصورة "كتابات" التي تعتبر من الوسائل الإسقاطية لتعبّر عما يدور في خلد الفرد/ الجماعة من تصورات وقيم ومفاهيم ومخزون ثقافي عبر أكثر من أسلوب: طريقة التكلم/ الخطوط/ الالوان/ كتابة رموز وشعارات/ الخ حيث يمكن أن تؤشر بدورها الى مجموعة من المعارف التي تفسر نظرة مستخدمها للحياة. للطبيعة، للاحداث، للمواقف السياسية أو للهموم اليومية وغيرها.

يبدو أن موضوع المزاج واتجاهات التعصب (التطرف) يحتلان مكان الصدارة في الدراسات النفسية والاجتماعية المتخصصة جداً، لا من حيث المنهج الأكاديمي فحسب وإنما بسبب صلتهما المباشرة والدقيقة بحياة الإنسان والمجتمع

وآثارهما المتوقعة في النتائج ولما يحملانه من عواقب إذا ما فشل ضبطها تربيةً وتنشئةً، فالاتجاه يعرّف بأنه نزعة (نحو) أو (ضد) بعض المواقف، أما التعصب فهو اتجاه نفسي لدى الفرد يجعله يدرك فرداً معيناً أو جماعة معينة أو موضوعاً معينا إدراكاً إيجابياً محباً أو سلبياً كارهاً دون أن يكون لذلك ما يبرره من المنطق أو الشواهد التجريبية. وعليه تأتي مناقشة موضوع التعصب أو التطرف بكل أشكاله السياسية أو الأدبية أو العنصرية أو الدينية، كمحاولة لسبر أغوار النفس الإنسانية بنشأتها وتكوينها، ورؤية تحليلية لحالة المزاج التعصبي المنعكس في صورة الشعارات المكتوبة او الملفوظة. كما انه وبمكان ما يفسر لنا حالة التجمع الحزبي و«التكتل الديني» ويقدم مبررات الحاجة نحو منح الامان وتوطيد النرجسية الجماعية وفق ما يُعرف بـ معادلة الاصطفاف: ظاهرة **الاصطفاف بين المصطفين.**

إنه حال المزاج المعكوس والظاهر في كثير من القضايا التي أصبح التعبير عنها وسيلة إعلان عن الرغبات المكبوتة التي تنطلق بعيداً عن رقابة الأنا الأعلى والضوابط الاجتماعية الرسمية، لتأتي وفق هذا السياق الشعارات في المناطق التي تشهد تخاصما بين اطراف عسكرية أو إيديولوجية، أو في

أماكن يشوبها التوتر الاجتماعي والاقتصادي المتأزم، أو تبرز في احايين كثيرة عند الازمات السياسية العابرة تجاه احداث معينة، تعبيراً مرمزاً أو معلنا عن وجهة رأي الارادة الشعبية أو قوى الأمر الواقع أو صرخة الفئات المهمشة.

## 1. هل يوجد مزاج لبناني مميز؟

مع فورة الثورات الشعبية المتواترة في أكثر مكان لا تقتصر شظاياها على الساحة السياسية والأصطفافات الطائفية فحسب، بل جعلت من كتابة الشعارات منبراً إعلامياً حيوياً في كافة اللغات والميزات المختصة بالشعار شكلاً ومضموناً، أخذت مختلف الشرائح الاجتماعية كافة تعبّر بكل جرأة عما تريد وعما يدور في مكنونها حتى بدت معه الجدران واليافطات والسيارات وواجهة المحلات والأزقة مسرحاً تعبيرياً نابضاً لتداعيات تلك الأحداث، أخذ المراقب يلاحظ «**انتفاضة شعارية مرافقة للانتفاضة الشعبية**» تشهدها الساحات العربية كما شهدتها ساحات بيروت بمختلف أطيافها. حيث القرائح تجود وخاصة من الشباب بشعارات مغايرة عن تلك التي عرفت خلال الثورات في أوروبا، لقد كتبوا وعبروا بروح النكتة والسخرية والإستنكار والخوف

والتندر والقرف، كل هذه المشاعر صبَّت بكلمات وجمل وكأنها تعكس حالة عن المزاج الشعبي في شحنته الانفعالية التي يشترك بها أفراد ينتمون الى أذواق وافكار تكوّنت نتيجة لحدث يهمهم عاطفيا واجتماعيا.

في لبنان وعلى مر السنوات الماضية كانت الشعارات أكثر من إعلان موقف بقدر ما كانت حربا اعلامية، بتنا نلاحظ تنوّعا منها على الطرقات والشرفات وجسور المشاة **و**لوحة ألاعلانات الخاصة حتى أعمدة الإنارة لم تسلم من عرائض قماش والواح خشبية تصدح بدورها عن الرأي المستتر عبر شعارات معلنة. وهذا ما جعلنا نتناول ظاهرات الشعارات في الشارع اللبناني كوسيلة إعلامية قائمة مستندين في الدلالة عن تأثيرها الى تحليلات علم النفس الاجتماعي في الرأي والدعاية والخلفية النفسية للجماهير، فبدا لنا ثمة مزاج متميز خلف هذا الاعلام ووسيلته.

وإذا كان المـزاج يعنـي ـ سوسـيولوجيّاً - مجموعـة الخصائـص التي يتميز بهـا فـرد مـا ويشـاطره بتلـك الخصائـص أفـراد آخـرون، وأن هـؤلاء الأفراد المتشـاطرون يشـكلون شـخصية أساسـية لبنيـة إجتماعيـة مدروسـة، فـإن لـه في الواقـع اللبنـاني مثـالاً صارخـا عـن الحيويـة في تمثـل الأمزجـة، حيـث

في حالات متعددة غالبا ما يأتي المزاج في صورة شعار وفي كتابة الشعارات وأطلاقها رصيد لا يستهان به من التعابير الجياشة والاتجاهات المختبأة وراء كلمات، خاصة عندما يأتي في مضمونه وصياغته مقتطفاً من خطب القادة أو الزعماء المحليين أو أقوال دينية وحكم ادبية. ليصبح وسيلة اعلامية لها حضورها، لا تستطيع بعض الجماهير والتنظيمات السياسية الإستغناء عنها مهما أمتلكت من وسائل إعلام أخرى متطورة، ولا نغالي إذا قلنا بأنه أهم منها ويكمن الفرق بينهما في أن كتابة الشعارات مباحة للجميع فهي لا تخضع للرقابة السياسية ولا تتطلب مهارات صحفية في أختيار التراكيب والجمل المكتوبة أو مبالغ مالية لإنجازها وتوزيعها ولا تخضع كذلك لضغوطات النشر أو المقاييس الإعلامية المحددة. مع الشعارات ثمة صحافة من نوع آخر يتصفح المواطن «مانيشاتها» أثناء عبوره الشارع. يتحول معها الحائط الجامد إلى صحيفة بدون رئيس تحرير وبدون دورية للصدور وبلا إذن للطبع.

في بنيـة اللبنـاني الذهنيـة ثمـة مـوروث عقائـدي تتماهـى فيـه شـخصيته مـع إيديولوجيـا مـن الـتراث والمعتقـدات، لهـذا تجـده يتميـز بوعـي تاريخـي يتجسـد يوميـاً في السـلوك والشـعارات:

* بعضهم يتماهى بالفينيق

* بعضهم بالفاتحين الاسلام

* وقسم منهم بالمهدي المنتظر او الامام المغيب

مما يجعل مزاجه الاجتماعي او السياسي كأنه صراع آلهة، وسلوك الشارع تعصب للبعد الديني ويتحدد مصير الناس وفق معادلة : أما مع هذا التوجه أو ضده..لهذا تجد تلفزيونات خاصة/ وظائف محسوبة / جامعات تابعة/ احزاب متضادة/ وشعارات وكتابات وجدران متنافسة، اذاك نختصر سمات المزاج اللبناني في الاهواء والاتجاهات والتعبير على انه :

- متلوّن لتلّون جماعاته الاثنية
- محكوم بعصبية التاريخ والزعامات الراهنة
- متأثر بتيارات الخارج سياسيا وحضاريا
- متنوع في **تناقضات حادة تتجلى في ثنائيات غريبة**

وفيما يلي بعضاً من الأمثلة كتابةً وصورةً تعبر عن هذه الحالة المزاجية المنقسمة:

✓ **لأ للسلاح.......وفي مكان آخر: السلاح باق رغم أنوفكم**

- ✓ في بعض الزواريب البيروتية استغاثة ب: مدد مدد يا عمر/ وفي صروح الضاحية على اليافطات: يا مهدي أدركنا.
- ✓ ذات يوم: الحكومة باقية باقية باقية! وعلى الطريق الساحلي أحدهم يوقع بأسم حركة الشعب: التغيير جايي جايي
- ✓ في حشود التظاهر: الله.. حريري، طريق جديدي/ وفي حشد آخر : ايه ويللا والضاحية كلاّ للسيد نصر الله...
- ✓ هناك من يكتب : 7 ايار يوم مجيد من أيام المقاومة.. فيرد آخرون بعد انتخابات 2009: 7 حزيران هو اليوم المجيد
- ✓ حيث المد الشعبي لحزب الله: لا خيار إلا المقاومة....، وفي الطريق الجديدة حيث المد الشعبي المناوئ: بيروت الحريري هي المقاومة.
- ✓ وحيث جمهور يصرخ : لا للطائفية، في شارع الجزار تطالعك: نحن احفاد ابو بكر وعمر....وعلى ابواب الشياح والغبيري مكتوب : الشيعة وبس. وحين تعبر بولفار عين الرمانة تقرأ : صليبيون.

- ✓ **وفي الجانب المسيحي: "عون الجمهورية" يقابلها صورا للحكيم مذيلة بـ "المارد المتمرد" واخرى لبشير الجميل مكتوب عليها " ثابتون" او "بشير حيٌّ فينا وجعجع عم يفيدنا.."**

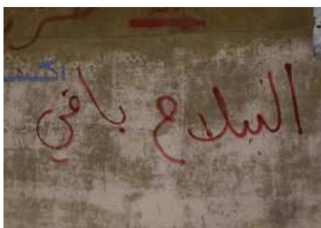
رغم اختصار هذه العبارات ورمزيتها تبقى في دلالتها بليغة الرسالة وأيديولوجية التوجه بأمتياز، لأنها تترافق غالباً خلال نشاطات المنظمات الحزبية ومع جماعات الرأي في مناطق صراع الأطراف أو حشود الأحتجاج أو حيثما التوترات الاثنية والسياسية. فألى جانب خطاب القائد السياسي وجريدة الحزب وأذاعته الخاصة يأتي أعلام الشعارات ـ سواء كان على الجدارن أو عبر لافتات المناسبات ـ أوالية تعبير عفوية لكن في أبعادها وسيلة أعلام بصرية حين يتعذر الخطاب الشفهي أو المرئي،

إنه الواقع اللبناني الذي شهد على مر السنوات الثمان الاخيرة ( أاي ما بعد العام 2005 تاريخ اغتيال الرئيس رفيق الحريري) أحداث مفصلية جمة ظهرت معها الشعارات والكتابات الجدارية زاخمة في تظاهرات الإستنكار لجرائم الاغتيال السياسي، إلى الاحتجاجات الشعبية إزاء قرارات حكومية أو دولية إلى الشعارات الانتخابية إلى صور الاحتشاد لتأييد مواقف وقضايا خاصة

بالأفرقاء. بدت الشعارات المخطوطة على الجدران واليافطات المعلّقة في الشوارع وسيطا ماديا ينقل الأفكار والأحاسيس التابعة لحالة معاشة، وبما أن كل مجال وسائطي يستتبع واقعية معينة (وهنا واقعية التحركات العفوية الغاضبة، المحرومة من التطلع الشمولي والمستنكرة لواقع مفروض وضاغط) جاء التعبير الفوري من قبل أقلية فاعلة صارخاً وملموساً، "حيث تتحوّل الكلمة الى فعل، تحول الجماعة الفكرية الى جماعة قائدة، تحول الاقلام الى بنادق، الشعور الى شعارات والألم الى صرخات"[5] ومثال على ذلك ما يشاهده ويقرأه العابر بجولة في شوارع العاصمة بيروت وضاحيتها حيث تطالعه عبارات تنبئ عن حالة المزاج والرأي إزاء كل حدث سياسي أو ديني أو اجتماعي صارخ كما في النماذج التالية:

نموذج اول : ثنائية حول السلاح :




نموذج ثان: ثنائية حول الرؤية من احداث 7ايار واتجاهات الراي العام حولها







نموذج ثالث: حركة 14 آذار ونظرة الاخر اليها :






نموذج رابع : استنجاد بالرمز الديني الخاص




**نموذج خامس : ناس مع الطائفية وناس ضد**




**نحن رب الطائفية**

## نموذج سادس : تأكيد على الهوية



حسينيون ولن نركع.. فليسمعنا العالم اجمع　　　　نادت الشمس للقمر.. اللهم انصر امة عمر

## نموذج سابع: تناقضية النظرة الى بيروت



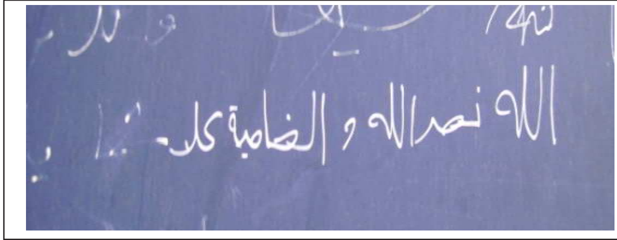

## نموذج ثامن: ثنائية الامل والحلم بالغد...وعشق الموت والشهادة




سأكون يوماً ما أريد　　　　يرهبوننا بالموت ونحن عشاق الشهادة

**نموذج تاسع : فرضية ما يعتقده البعض من أن الله معه دون الآخر**




يتبين أن في كتابة الشعارات وإطلاقها رصيد لا يستهان به من التعابير الجياشة والذهنيات المختبأة وراء كلمات، لا تستطيع بعض الجماهير والتنظيمات والحركات السياسية الاستغناء عنها مهما امتلكت من وسائل إعلام أخرى متطورة، إلا أن المفارقة الظاهرة هو تنوع الامزجة على شطري الصراع السياسي أو الطائفي أو المناطقي.. لتظهر إلى العلن كتابات جدارية تعبّر عن حدة التنازع القائم وتجسيّد خطيا جبهات متضادة في الرأي والموقف والتعبير...فما نعني بهذه الكتابات تحديدا؟

## ثالثا: الشعارات الجدارية:

تظهر الشعارات الجدارية، بمفهومها المبسط على أنّها: **الرأي المعبر في كلمة او صورة او رسم او رموز او ألوان**... يصوغها أفراد معلومون (ينضمون إلى حزب أو تيار ما، تعبيراً عن مواقف سائدة في الوسط المحلي أو المجتمع الدولي عبر حملات تضامن أو تعاطف أو استنكار...) أو أفراد مجهولون يكتبون ويعبرون عن رأي عام مستتر، ويبرر منظرو علم النفس الاجتماعي ـ ظهور اليافطات والشعارات الصارخة ـ بعوامل نفس/ إجتماعية وذلك عند حديثهم لما يسمى بـ«**الخلفية النفسية**» لوعي الجماهير وتحركهم، أذ عندما يسيطر على الجماهير شعور عام بالفرح أو الحزن تنطلق التعبيرات المختلفة بشعارات ولتعبر عن المزاج النفسي أو الاجتماعي أو الانفعالي. من هنا ترتبط أهمية إعلام الشعارات في بعده الاتصالي المباشر، بأعتباره «**مضمون كلام منطلق من انفعالات ومشاعر**»[6]. وبالحديث عن **أعلام الشعارات** نشير هنا بأن الشعارات المعلنة ليس واحدة في طبيعتها، إنما تتنوع وتختلف من حيث الشكل والمضمون:

1- **من حيث الشكل يلاحظ ان الكتابات الجدارية**

تظهر بشكل احرف، ارقام، لوغو، الوان، (معيار الرمزية والبديل والاختصار) وغالبا ما تكون مرفقة بصور، برسم ما او بكاريكاتير،(معيار الوضوح المباشر) لا بد من الاشارة الى ان هذه المعايير غالبا ما تظهر في عدة اماكن منها: الحائط الاسمنتي، أنصبة على مفارق الطرق، لوحة أعلانات مخصصة، عرائض قماش ترفع فوق قارعة الطريق أو الواح خشبية تعلق على أعمدة الانارة. وغالبا ما يسمونها بالكتابة العامة التي تكتب وتحفر أو ترش بالدهان على الجدران الخارجية والأشجار والأسيجة والأنفاق. وميزة هذا النوع من الكتابة انه: يكون فريدًا من نوعه/ ينجز وظيفته ويقدم رسالته البصرية بأيسر شكل ممكن.

2- **من حيث المضمون يلاحظ** انها غالبا ما تكون أقرب الى التعليقات الطريفة العابرة أو التعابير البذيئة كتلك التي تكتب على جدران المراحيض أو على حيطان الأزقّة، وقد اقترح ألن دنديز العالم الأنثربولوجي الأمريكي اسماً خاصاً لمثل

هذا النوع من الكتابات، فيما أسماه (Latrinatia) اي تلك الممارسة اليومية التي يقوم الفرد العادي بتوظيفها للتعبير عن أمنياته الخاصة، والتراث الإنساني أضفى على هذه الكتابة خصائص مجتمعاته الفردية والجماعية لتشكلها بعد ذلك شكلاً جماعياً للتجربة الإنسانية العامة في تفاعلاتها مع الواقع وفي توقها لإفراغ مكنوناتها الذاتية على الجدران او في المراحيض وعند مطالع ومنازل الجسور وأسفل العمارات وعلي أسوار محطات السكك الحديدية ومترو الانفاق حيث كلمات لا تخلو من وجهة نظر سياسية.. يعلنها مواطن مجهول: الغلاء/الظلم/العدل/ الحقيقة/ .. كلمات تتكرر.. إنها أكثر من مجرد عبارات هي صرخات سطرها مواطنون علي جدران قريبة ..احتوتهم بعيداً عن أحزاب غائبة ووسائل إعلام بعيدة والغريب في الامر انه في هذه الكتابات تكمن فلسفة عميقة الابعاد لواقع ماثل او لحالة معاشة كما في النماذج التالية:




**الجوع عاصمة الفقير....**




**الجنس هو اعلى درجات المرح بدون ضحك**




يتكلمون بألسن طاهرة والنفس عاهرة




الحياة جزرة كبيرة ...



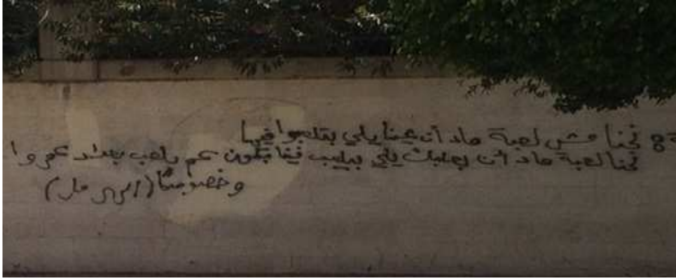

البحث عن الامل دوما في زمن اليأس



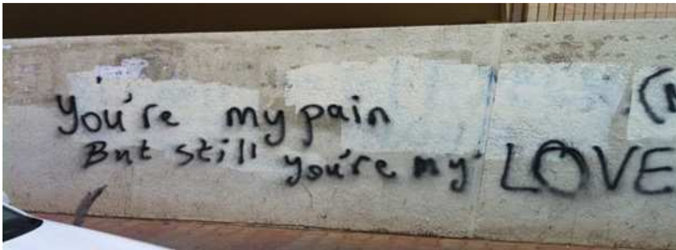

دعوة ممجوجة : بأن يتعبد المرء وفق ما يحلو له فهي علاقة بينه وبين ربه، انما الوطن يجب ان يكون للجميع




المقاومة ثقافة قبل ان تكون بندقيه



**نحن مش لعبة made in china نحن لعبة صنع في بعلبك ..اللي بيلعب فينا بيكون عم يلعب بعدّاد عمره**




**انت دائما " وجعي" ومع ذلك تبقين حبي!**




**مقتطف عن شعراء الصوفيّة**


مهما أبتعدت هذا مكانك
م


لا نريد زعماء
Freedom


بيكفينا
١٣ نيسان
واحد

يُنظر إلى الكتابات الجدارية من حيث المضمون بناءً على محتواها الثقافي، وبما أن تحليل مثل هذه الأنواع يندرج في مجمل التحليل العام للثقافة الشعبية، تصبح وكأنها ممثل حقيقي ليس للثقافة بل للعقلية التي تطرح مثل هذه الكتابات والتي تبدع مشاكل وإشكاليات مجتمعها. ومع الإقرار بأن مثل هذه الكتابات وبناءً على صيغتها ومضمونها تمثل - في بعض قضاياها- إنتاجاً اجتماعياً جيداً، وتؤكد أخلاقية لواقع المجتمع الذي تعيش وتنمو فيه، نستطيع القول بأن السائد في الكتابات هو ما يفكر فيه مجموع المجتمع، وبصورة أخرى فإن فردية الكتابة وإن عبرت عن رؤى وتحليلات فردية إلاّ أنها ترتبط بالواقع المعيش، فهي- وبناحية ما- تشكل جزءاً من سيرة ذاتية لمجموعة من الناس قد يكتبها شخص واحد لكن في الواقع يكشف عن جزء من نفسية جماعات أخرى ينتمي إليها، ويعبر عن ذهنية جماعية ولمُثُل مجتمعه التي يكتب عنها.

من هنا حرص الباحث الأمريكي آلن دنديز في توصيفه للمواد الفلكلورية الشعبية أن يزج بالشعارات ضمن المواد التي تشكل ثقافة العادات والتقاليد للمجتمع والتي منها: الأساطير، الخرافات، القصص الشعبية، النكات، الأمثال، الحزازير،

الألغاز، الترانيم، التعاويذ، التبريكات، اللعنات، الشتائم، السباب، الإيحاء والإجابات التقليدية والملاحم الشعبية وما يكتب على القبور والسيارات واليافطات (والجدران)، وما إلى ذلك . . ." كما في الصور التالية:







**ثمة من يفكر بهاجس البلد..وثمة من يفكر بمعشوقته**







**الغلاء دائما هاجس الطبقات الفقيرة لدرجة يصبح مأكولها الشعبي (البندورة): غاليا من حيث الثمن والقيمة.**






تعبيراً عن الاستياء ثمة من يستقرف الواقع وثمة من يدعو لخيارات







**العيش بحرية أو الموت مبدأ البعض ...ورضا الحمى همّ البعض الاخر**







**تمايز حاد بين الداعين إلى إعلاء البلد فوق الاعتبارات ..**

**وأؤلئك الذين آخر همهم الامر**







**مطالب الشعب بين ثورتين: ثورة على الطائفية .....وثورة جنسية**

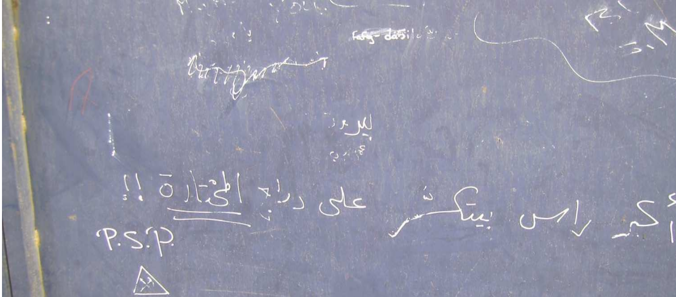
بماذا يمكن تفسير فعالية وحضور أعلام الشعارات  والكتابة على الجدران والذي يدعونا بحق تسميته بـ" **فن الشوارع**" نظرا لما تعكسه هذه التسمية وبصورة دقيقة المجال الارحب لوجوده ودوره؟ وما هي أبرز اشكاله وتوجهاته في الشارع اللبناني؟ يشبه خبراء علم النفس الكتابة الشعارية (على الجدران او في اي مكان عام)  بالتفريغ الانفعالي  باعتبارها تعبيراً عن مكبوتات نفسية فـتأتي الكتابة لتحمي كاتبها من الضغط النفسي والتعبير عن المشاعر والأحاسيس التي ترتبط بظروف اجتماعية اواقتصادية او سياسية.

أما علماء الاجتماع فقد اتفقوا على أن الكتابة الجدارية تكتب من قبل الشعب (عامة الناس) الذين يجدون الجدران وسيلتهم الهامة للاعتراف والتعبير عن ما يدور في أفكارهم من تداعيات وإفراغ هذا المحتوى العقلي الذي ينم عن قلق اجتماعي صرف في كتابات.. لذلك تحولت الكتابة الشعارية في الغرب كشكل من أشكال التواصل وبحكم إتساع دائرة الفضاء العام إلى إحدى مظاهر "التطرف" في حرية التعبير عن الرأي  لتأخذ – في مجتمع ما بعد الحداثة - منحى تعبيريا فنيا وجماليا سرياليا في حين نجد أن الكتابة على الجدران - في مجتمع ما قبل  الحداثة أو الدول المتخلفة-  علامة على

تشكّل فضاء إتصالي ينشد حرية التعبير عن الرأي في فضاء عام غائب أو ضعيف التشكل أو يخضع للهيمنة السياسية وفيما يلي بعض الامثلة مما قرأته في اماكن متفرقة من العاصمة بيروت والمناطق المجاورة لها :



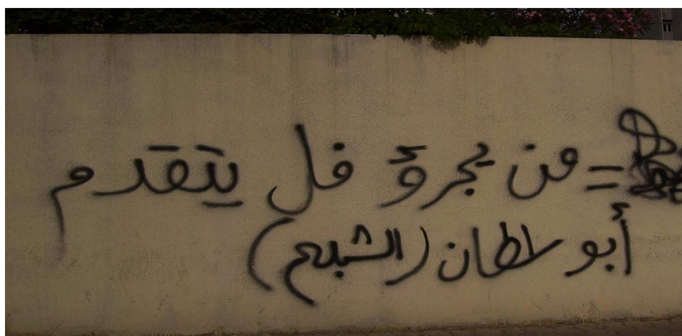


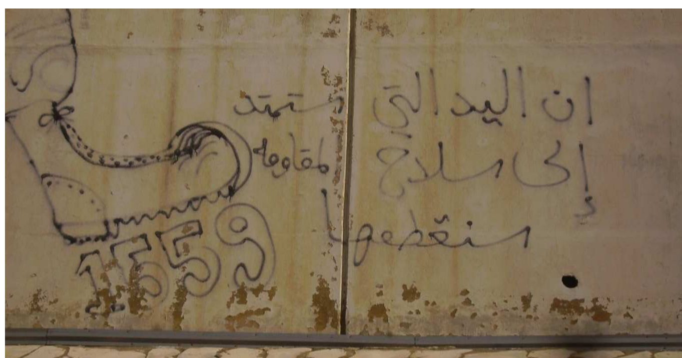


أكبر راس بيتكسر على دراج المختارة !!
P.S.P


متى تنتهي
الحرب الأهلية؟
لا يسقط النظام الطائفي


لكل زمن مهرج وأنت مهرج هذا الزمان
"أهالي المنطقة"


ليعلم الجميع...بأن بيروت رفيق الحريري هي المقاومة


=من يجرؤ فل يتقدم
أبو سلطان (الشبح)

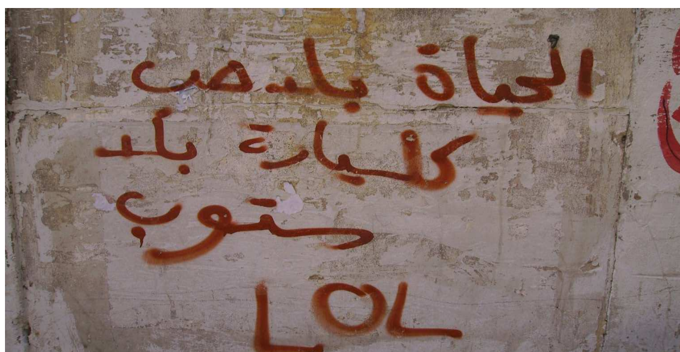

ان اليد التي
إلى سلاح
سنقطعها
ستمتد
لمقاومة
1559

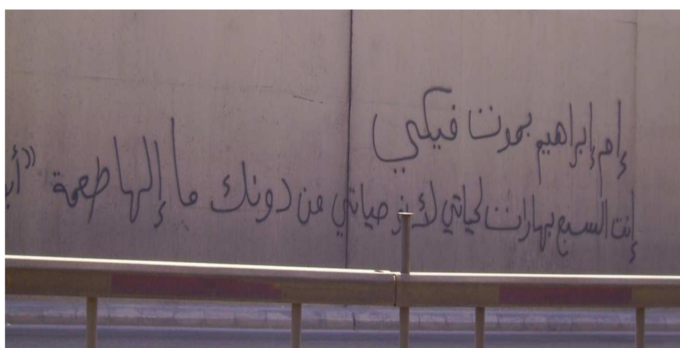

يا حكيم الثورة
إخترت لنا قدرا
بين حياة أو فناء


من قلبي سلام لبيروت


الشرق جنة الله في أرضه بيروت جنة الشرق
فهي جنة في جنة
مافيش مشكلة
ILLIMBI
IS RIGHTS


نحن نور لمن إهتدى
ونار على من إعتدى


الحياة بلا حب
كسيارة بلا
ستوب
LOL


يا ام ابراهيم بموت فيكي
إنت السبع بهارات لحياتي لأن حياتي من دونك ما إلها طعمة

تكمن قوة تأثير الكتابات الجدارية ليس في الخواص المميزة له في الشكل الفني ولا في النوعيات الخاصة للنص، بل تكمن في حدة التعبير العميقة للمضمون في كلماته وللمصور برموزه وفي الاختصار الواضح والبليغ للموقف في مصطلحات يمكن ان تؤثر في القارئ أكثر مما يمكن أن تحدثها وسائل اعلامية اخرى في رسائل مكثفة، لقد اصبحت الكتابات المعلنة في شوارعنا  جزءاً لا يتجزأ من ملامح المدينة واحيائها، تبرز الينا من جدران المنازل، لوحات الاعلان وواجهات المخازن ووسائل النقل في محاولة منها لان «**تخبرنا، تدعونا وتعلمنا وربما تضحكنا**»...لقد دخل هذا الإعلان بإصرار إلى حياتنا اليومية ويكفي أن ننظر إلى اللافتات المحيطة بنا كي نعرف ما يحدث عند اناس اخرين مهمشين، أو ماذا  يجري في بلدنا  بشكل سريع ومبسط ومختصر وهادف.

يتخطى فن هذا الاعلام الكثير من الحواجز النفسية أو سلبية انتباهنا ويتوجه بالتعبير الفني ـ كلمة وتعبيراً ورسما وكاريكاتورا- اكثر منه بالشرح والتفسير، ليتم استيعابه بصورة أسرع وأدق مما هو حاصل مع مقالات الصحيفة او التحقيق التلفزيوني او الخطابات الرنانة. وبرأي بعض

الباحثين الكتابة علي الجدران أعتبارها وسيلة غير تقليدية للتعبير. وبالنسبة لفئات بعينها تعتبر الوسيلة الوحيدة، لأنهم لا يستطيعون الوصول إلي وسائل الإعلام الرسمية ولا يجيدون التعامل مع الوسائل الحديثة "من فيس بوك ومدونات" لذلك اتخذوا من الجدران منابر إعلامية، وهم عادة يتصفون بعدم القدرة على التعبير عن أنفسهم سوى بكلمات محدودة. ويشعرون بضغط وكبت وغبن فيعبرون بهذه الوسيلة.

**1) صورة اعلام الشعارات والكتابة الجدارية لبنانيا؟**

بماذا يمكن أن نفّسر أنتشاره الواسع في بلد كلبنان؟ لو عبرت أو تجولت في منطقة معينة من لبنان مثلا خلال الحرب أو اثناء التصارع السياسي او عند التوترات الأثنية لأستقرأت بسهولة الواقع الجيوسياسي لهذه المنطقة أو تلك من خلال شعاراتها المكتوبة على جدارنها أو المرفوعة عبر يافطاتها، وقد لوحظ في الفترة الاخيرة تحول الاعلام الجداري الثابت إلى إعلام شعارات متحرك في أكثر من مكان، ومتميز في وسيلته بأكثر من خصوصية منها:

- في خصوصية **الألوان** تعتمد كثير من التيارات السياسية ألواناً خاصة لخلفية شعاراتها المكتوبة (***) إنسجاماً مع

لون راياتها، فلم تعد اليافطة القماشية البيضاء كما كانت قديما بل كثرت ألوانها وتنوعت ولكن ما سر أختيار الالوان؟ في تحليلات علم النفس يعكس اللون بعدا تعبيريا صارخا يؤثر على الناس بفعل أرتباطه ثقافيا بناحية ما أو بفعل التجارب السابقة منهم ازاء لون معين، فمن دلائل اللون الاحمر فعاليته في الإثارة والتحريض (لهذا تعتمده التيارات الثورية كراية) كذلك اللون الأصفر حيث له وقع في النفوس مقارباً للون الأحمر فيما يرمز أليه من حيوية وثورية، ويقاربهما في ذلك اللون البرتقالي الذي يشير أحيانا إلى العصيان والتمرد ويستخدمه الاشخاص أو القادة الذين يميلون الى الكفاح والتجديد وغالبا ما يكون هذا اللون رمزاً لحركات التغييرالنازعة الى الاستقلال..اما عن اللون الازرق مع أنه أقل الالوان تأثيراً على الهيجان الشعبي وتحريك الجماهير ألا أن لدى مستخدميه حب شديد للحركة والتطلع ودليل على حب الحياة وثقافتها.. وبالسياق ذاته نجد اللون الأخضر يتخذه أؤلئك الذين يسيرون نحو تحقيق غاياتهم بخطى وئيدة وكأنهم ثابتون / صلبون/ ويستبسلون في سبيل الوصول إلى هدفهم المنشود.

- **في خصوصية المناسبات،** يلاحظ ان هذا الاعلام يترافق رواجه مع أزدياد حدة التناقضات الاجتماعية وقيام الثورات والحروب والصراع الطبقي ونضالات الشعوب في سبيل قضايا تهمه وصولا الى التعبير عن رؤئ سياسية او اقتصادية او اجتماعية او قضايا معيشية اخرى في أكثر من تعبير مخطوط،
- **في خصوصية المواقف،** إذا كان الحديث لا يزال يدور حول مفهوم الشعار على أنه تعبير عن رأي فأنه هنا يظهر كنشاط / كفن إغراء الغير للتصرف بطريقة معينة بحيث إنه ما كان ليتصرف بها هذا الغير في حالة غياب الشعار، إنه محاولة لتوجيه الفكر الإنساني ضد رغبة الفرد الحر نحو تأثير محسوب على آخر موجه قد يصل معها المرء إلى مرحلة خضوع لآارادي تجعل احدهم تحت سلطان أيديولوجيا معينة. وعليه تصبح الشعارات والشعارات المضادة، الهتافات ونقيضها، أكثر من طفرة عفوية شعبية عابرة وانما «توجهات دعائية» مطبوخة على نار سياسيةـ حزبية عالية تُمارس عن طريق الاحزاب ومجموعات الضغط عندما تحاول كل منها اقناع الجماهير بتأييد قضيتها ووسيلتهم في

ذلك نشر معلومات مقتضبة او أنصاف حقائق بطريقة منظمة للتأثير على الرأي العام. انها اشبه بعملية تلاعب بالعواطف والمشاعر يُقصد فيها الوصول لخلق حالة من حالات التوتر الفكري والشحن العاطفي.[7] الا ان محاولات الاقناع هذه عبر الشعارات والكتابات لا تنجح فعليا على حد رأي السوسيولوجي اللبناني ملحم شاوول الذي يعتبر: بأن كل حزب او طرف سياسي يحاول من خلال شعاراته السياسية أثبات وجوده أكثر منه محاولة ايصال رسالة او اقناع الناخب بهذه الرسالة. فالشعارات مجرد وسيلة لملء المساحة الاعلامية والاعلانية وان معظمها مقصرا عن تحقيق الهدف الرئيسي من الاعلان الانتخابي وهو الاقناع. ولان الخطاب السياسي في لبنان- يتابع شاوول- ليس لديه هاجس الاقناع او تغيير وجهة نظر الجمهور الخصم او حتى الجمهور الحيادي يظهر الاعلان السياسي بهدف تجنيد الانصار الذين لن يدخلوا في المضمون بالقول: نحن هنا ...نحن نحتل الأرض[8]

## رابعا: المدوّنات

مع إطلالة العام 2003 ظهر موقع أستقطب الاهتمام من

قبل الفئات الشابة بشكل غير متوقع تعارف عليه المستخدمون بـ «**التواصل الاجتماعي**»؛ الحدث الكامن خلف هذه الثورة الاتصالية المتلاحقة ليس طبيعة التكنولوجيا الهائلة في عملية التواصل والاتصال بقدر ما نقصد بها مدى التأثير الذي تركته على تواصلنا وتفاعلنا اليومي، أنه عالم تقني- تواصلي جديد بتنا نعيش بكنفه شئنا ام أبينا، فرض نفسه علينا مع التطور التقني المتسارع حتى أصبح كل شئ في حياتنا محكوم بعالم الديجتيل: نتكلم / نتعلم/ نلعب/ نعمل/ نسافر/ نتواصل/ نحب/ نتدّين/ نطبخ/....كله اصبح وفق الفيديو كام والسي دي والموبايل. لم يعد هناك من مشكلة تواصل او تعامل او تعلّم بل الجميع رهين هذه الشبكة العنبكوتية التي ربطت خيوطها العالم اجمع فأصبح بأمكان احدنا ان يقوم برحلات ويعقد صفقات عمل ويتعرف بهدف الزواج وكأننا أبناء قرية واحدة صغيرة

ولعل أهم ميزة في رغبة البعض لهذا النمط الاتصالي الجديد وخاصة مع عالم المدونات والتحادث الالكتروني والفايس بوك هو مساحة الرأي حيث يمكن لأحدهم أن يعبّر ويكتب يومياً عن مجمل أحاسيسه ونشاطاته وأفكاره وآرائه بحدث معين (**update statues / notes**) لهذا يظهر هذا

الموقع كمنتدى فكري تواصلي وأنما عبر صفحة الكترونية. ونشير في هذا السياق الى ان ثمة دراسة اميركية حديثة اظهرت تقدم موقع الفايسبوك على غيره من المواقع كأكثر محركات الاخبار تصفّحاً، علما بأن غوغل لا يزال في الصدارة، وتطرقت هذه الدراسة والتي اجراها معهد بيو الى سلوك مستهلكي المعلومات على الانترنت خلال العام 2010 بأنه على الرغم من تصفحهم لموقعي غوغل بشأن الاخبار ويوكيبيديا بشأن المعلومات العامة الا ان المواقع االاجتماعية ولا سيما فايس بوك بات مورداً مهما وسريعا للحركة بالنسبة الى المواقع الاخبارية على الانترنت ازاء موقع تويتر الذي بالكاد موجود كمصدر للحركة حيث شكل مصدرا بنسبة تفوق واحد بالمئة من التصفح من بين 25 موقعا المعنية بالدراسة.[9]

وكذلك الحال بالنسبة لواقع الشباب اللبناني مع الانترنت حيث تبين ان الفايس بوك أحتل أعلى نسبة استخدام (74 %) وفق دراسة بالعينة[10] ويُرجع البعض سبب ذلك لما يتميز هذا الموقع عن غيره من خصائص قد لا تتوفر بالمواقع الاخرى من عرض للصور، إدراج للمعلومات الشخصية عن المشترك، الى التراسل عبر صفحة خاصة **(message)**

إلى التحادث المباشر أما عبر صفحة (**friends on chat**) أو عبر التعليقات التي ترد إلى المشترك من أصدقائه على ما يكتبه على صفحته من خلال (**like, comment, share.**). إلا أن ما يعنينا في هذا المقام هو هل دخلت **المدونات** مآل تجاذبنا السياسي لتحدث خللاً وإستفزازاً على صعيد تفاعلنا اليومي وتواصلنا الاجتماعي وتوازننا النفسي والفكري؟ هل هي فعلا تعيد صياغة الكثير من قناعاتنا وآرائنا؟ هل تحدث تأثيرا جذريا على مستوى علاقاتنا وخصوصياتنا؟ بسؤأل اكثر دقة: **كيف يتفاعل شبابنا اليوم مع ظاهرة المدونات كظاهرة اجتماعية واتصالية؟**

في نظريته عن وسائل الإعلام والمجتمع الحديث يميّز الباحث جون تومسون بين ثلاثة انواع من التفاعل التي تحدثها هذه الوسائل [(11)]:

1. تفاعل الوجه للوجه كما في حالة التقاء الناس في تجمع او تحادثهم في احتفال ويكون التواصل في هذه الحالة غنيا بالايحاءات والاشارات من الافراد لفهم ما يقوله الآخرون
2. تفاعـل بالوسـائط، والـذي يتضمـن ادوات (ورق/ وصـلات تقنيـة ـ الكترونيـة) ويتميـز هـذا التفاعـل بقدرتـه

علـى الامتـداد في الزمـان والمـكان مـما يجعلـه- والحالـة هـذه- قـادرا عـلى الخـروج مـن سـياقات التفاعـل العـادي (الوجاهـي) ويصبـح آليـاً (التهاتـف)

3. تفاعل بالتواصل الإلكتروني المباشر وفي هذا النوع هناك علاقات إجتماعية ناجمة عن تقدم وسائل الإعلام في تقنياتها ودورها، ويتصف هذا النوع من التفاعل بالانتشار عبرالزمان والمكان والخصوصية، غير إنه يبقى قاصراً عن الترابط الشخصي الحميم بين الأفراد بصورة فعلية لهذا يسميه بعض الباحثون بـ "شبه التفاعلي"

وبالطبع لا نعني بهذا التصنيف أن النوع الثالث يغلب النوعين الأولين لناحية فاعلية التفاعل بل أن هذه الأنواع قد تتداخل وتتشابك لدرجة يمكن لهذه الوسائط أن تغير التوازنات القائمة بين ما هو عام وما هو خاص في شؤون حياتنا وشجونها لقول تومسون: «أن الأفراد يناقشون رسائل وسائل الاعلام عند استقبالهم لها ويحولونها فور ذلك خلال سردهم لها وإعادة سردهم لها وتفسيرها وإعادة تفسيرهم والتعقيب عليها والسخرية منها وانتقادها (..) إن امتلاكنا لهذه الرسائل وإدماجها في حياتنا يجعلنا قادرين على تنمية

مهاراتنا ومخزوننا المعرفي واعادة تشكيله ثم اختبار مشاعرنا وأذواقنا وتوسيع آفاق تجربتنا الحياتية»[12].

يلعب الإعلام دوراً أساسياً في نقل الأحداث والتطورات إلا إن مع الإعلام الرقمي يبدو إنه اتخذ منحى أكثر حدة في نقل الصراع المحتدم إلى الرأي العام: من الصالونات السياسية وما خلف الكواليس إلى صفحات الجرائد وشاشات التلفزة وعبر أثير الإذاعات و"دهاليز" شبكة الأنترنت. هذا "الإعلام" غالباً ما يتجاوز في حدوده عندما يغدو منبرا مشاعا لكثير من الأقلام غير المسؤولة وعند نقله للاراء المرتجلة غير المعقلنة، عملا "بحرية التعبير" ليتحوّل من ناقل للحدث والصوت والصورة إلى الحدث بعينه. وها هي وسائل الإعلام الإفتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي والمدونات الخاصة بالصحافة مثالاً على الرأي والرأي المضاد.. بل هي نموذجا للإعلام المتوتر حول الأحداث اليومية يقول فيها أصحابها كلاماً استفزازياً تحت أسماء وهمية وهكذا يغدو الإعلام الإلكتروني "بوقا تحريضيا بأمتياز"، رغم محاولات الكثير من القيمين على هذه المواقع رفع مسؤولية ما يرد عنها بالإشارة إلى بيانات من قبيل:

| |
|---|
| **تعليقات القراء**<br>الآراء الواردة في التعليقات تعبر عن آراء أصحابها وليس عن رأي المجلة |

يقول روجيه كلوس "إن إنكباب الناس بحماسة واستمرار على أبواب الجريدة المخصصة للمتفرقات وأخبار الجنس والعنف والفضائح لا يمكن تفسيره بأنه مجرد حشرية بسيطة بريئة وحسب.. إنه شئ أعمق من هذا: إنه الحاجة إلى تحرير الكبت الذي لا يمكن حصره ..الحاجة إلى إطلاق غرائز يكبحها الخوف بشكل مرهق ويجب التخلص منها"، وفق فرضية كلوس.. وجد بعض الإعلام اللبناني متنفسا لذلك "الكبت المقهور" ويرغب صاحبه أن يطلقه في اكثر من موقف/ تصرف/ كلمة / شعار. ولكن الفرد يتغاضى أحياناً كي لا يتحمل تبعات فعله فنراه يقبل على مشاهدة برامج سياسية ساخرة، يستمع إلى تصريحات نارية من قادة يؤديهم، يكتبها ليلاً على الجدارن حتى تغيب هوية الكاتب.. وذلك كله دافعه "الوظيفة النفسية" التي تقدمها الوسيلة الإعلامية عبر أواليات منها:

1. التعويض عن عجز في القدرة على التعبير ..لأن غالباً ما يكون الإعلام صرخة لأناس معزولين أو مظلومين.
2. التعويض عن الحرمان ، نتيجة الشعور بالقلق وعدم الإطمنئان.
3. التنفيس عن مشاعر عدوانية لا يمكن تنفيذها على أرض الواقع فـتأتي المنابر كوسيلة تقدم منافذ للهروب.

4. الإزاحة، وهي عيش المرء لسعادة عبر سعادة الاخرين الذين يتكلمون بأسمه..

إذن تلعب وسائل التواصل الإجتماعي ووفقاً لنظرية الإشباع والإستخدامات دوراً بارزاً في إطلاق رغبات مستهلكها تارة عبر شئ من الإستفزاز من قبل طرف تجاه طرف مناوئ وهنا يحدث «التتجييش» وتارة لتعبر عن رأي عام تمثله، تداريه، تنطق بأسمه.. وهكذا تتحول المدّونات:

- ✓ أما إلى «وسائل تعبير جماعات منغلقة» تطلق من خلالها أفكارها/ سياستها/ توجهاتها. ولو تعارضت مع الرأي الآخر..
- ✓ وأما إلى وسائل إعلامية تحاول أن تحافظ على قدر من الحيادية كي لا تستفز أي جماعة أو فئة.. حفاظاً على جماهيريتها.. وموضوعيتها.. ولكن الخيار الثاني في التجربة أثبت عجزه.. لأن أصبح حال اللبنانيين في إعلامهم ووسائلهم ومدّوناتهم كحال من ورد وصفهم في **سفر التكوين** (الكتاب المقدس)**: "كمن تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم"**

# في التحليل والاستطلاع

قدم علماء النفس الكثير من التعريفات لمفهوم التعصب وإتجاهاته وتشكلّه في صورة إنفعالات أو أمزجة، و إن كانت هذه التعريفات قد ركزت- في البداية - على نوع واحد فقط من نوعي التعصب وهو التعصب السلبي والمزاج الحاد، مغفلة النوع الثاني منه وهو التعصب الإيجابي، ربما لأن النوع الأول هو الذي يسترعى الإهتمام شأنه في ذلك شأن الكثير من الظواهر النفسية والإجتماعية، حيث يبدأ الاهتمام بها دائما من الناحية التي تعوق أو تتعارض مع مقتضيات التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي، إن مشكلة الاتجاه التعصبي لدى الإنسان هي مشكلة جوهر وجوده الإنساني والاجتماعي السوي، فإذا ما أخذ الفرد بهذا النمط ( التعصبي) من السلوك في التعامل مع فرد ما بعينه أو مجموعة ما بعينها فهو يعد اضطراباً في معيار الصحة النفسية أو العقلية.. واذا ما أخذ به كموقف إجتماعي فقد يفضي الأمر إلى تباينات

في علاقاته مع الاخر وقد ينم عنه اختلال توازن في النسيج الإجتماعي ..فهل نسلم جدلاً بهذه الفرضية بأن اللبناني في اتجاهه التعصبي أو مزاجه وإعلامه فرداً متعصباً لما يتميز به من جمود وتصلب في الرأي؟

هذا ما نحاول أن نظهره ـ ميدانياً- من خلال نتائج عن أستطلاع للرأي أجريته (2011) على عينه عشوائية ( 150مستجوباً) من مختلف المناطق اللبنانية والإتجاهات والأعمار والمستويات العلمية والفكرية ومتنوعة المهن والوظائف ومتعددة المذاهب الدينية، للوقوف بالبينة على آراء اللبنانيين حول الاتجاهات التعصبية ودور وسائل الاعلام في تعزيزها فتبين لنا جملة معطيات هامة نستعرضها تباعاً بحسب أسئلة الاستطلاع على النحو التالي:

1. **فيما يلي بعض العبارات التي تعبر عن رأي شريحة من الناس في مجتمعنا، ماهو رأيك عنها هل توافق أم لا:**

**جدول رقم (1): توزع مستجوبين لبنانيين**

**بحسب رايهم لمواقف اجتماعية:**

| الخيار | الرأي | موافق | لا رأي | غير موافق |
|---|---|---|---|---|
| 1 | هناك من يرى ان السبب الرئيسي للتعصب هو عدم فهم الناس لتعاليم دينهم الصحيحة | % 81 | % 5 | % 14 |
| 2 | يعتبر بعض اللبنانيين ان الطائفية ليست وباءً خطيرا | % 28 | % 12 | % 60 |
| 3 | يرى باحثون اجتماعيون ان الزواج المختلط في لبنان قد يحد من التنازع الطائفي | % 42 | % 10 | % 48 |
| 4 | هناك من يقول ان الخطاب الطائفي هو اساس التوترات والتشاحن بين اللبنانيين | % 84 | % 8 | % 8 |
| 5 | الخصوصية المذهبية في الاعلام والتعليم لا بد منها لتعزيز التنوع واثبات الوجود | % 80 | % 14 | % 6 |
| 6 | يتجه بعض اللبنانيين الى البقاء ضمن جماعاتهم ضمانا لحياة آمنة | % 68 | % 6 | % 26 |

في هـذا الجـدول والـذي اسـتندنا في عباراتـه عـلى آراء مسـبقة يتداولهـا عامـة اللبنانيـين وخصوصـا في منتدياتهـم حـول الاسـباب الايلـة للتعصـب والافتراضـات الممكنـة للحـد منهـا،

واين هم من واقع حالهم ازاء الانفتاح على الاخر او التقوقع سواء كان ذلك بالسكن او بأتخاذ مدارس تناغم بيئته ووسائل أعلام خاصة تنطق بأسمه كي يبقى في مأمن من الاخر واستفزازته، فتراءت من خلاله جملة مؤشرات أبرزها:

- **إن الجميع يسلم بأن الخطاب الطائفي هو سبب التوتر (84 % اقروا بذلك)**
- **وإن الغالبية لا توافق على القول القائل بأن الطائفية ليست وباءً وحسب بل وباء خطيرا وفاتكا (60 %)**
- **وإن هناك مناصفة تقريبية في التزاوج بين الطوائف قد يكون مخرجا لحدة التنازع القائم بين الطوائف (42 % = 48 %)**

بقراءة للمعطيات يتبين ان ثمة تقريراً لفظياً يعبر عن ذهنية مستجوبي العينة، فغالبيتهم يجمع على خطورة «الطائفية والمذهبية» التي ما برحت أسَ كل نزاع بين أبناء الوطن الواحد على اختلاف مشاربهم واطيافهم، حيث مثل هذا النزاع كان يشعل حروباً وحروباً ويتبين في نهاية المطاف أن الجميع كان خاسراً، لهذا قد تكون الاجابات القائلة بخطورة الطائفية ما هي إلا إقراراً من أشخاص وعوا واقع الماضي

المرير وكيف أن الخطاب الطائفي يصيب الجميع مقتلاً فهو ليس وباء بقدر ما هو مرضا فتاكاً يمكن أن يتنشر في جميع الجسم اللبناني، وعندها لات ساعة ندم..

**2. من تعتقد من هؤلاء اللاعبون المؤثرون في تعزيز الاتجاهات التعصبية (يمكنك اختيار اكثر من خيار):**

**a) رجال السياسة**

**b) القيمون على الوسائل الاعلامية**

**c) رجال الدين**

**d) قادة الاحزاب العقائدية**

**e) المدارس والجامعات**

**f) غيرها وهم:............**

إن نقترح مثل السؤال لأن هناك من يرمي باللائمة على أشخاص يسببون الإتجاهات التعصبية بين اللبنانيين، وكي لا نبقى على مستوى التكهنات فيمن يمكن أن يكون هذا المسبب وتجنبا للرمزية في الاشارة اليه بكلمة « البعض» أو«هناك»، قدّمنا للمستجوبين جملة خيارات تتعلق فيما يمكن أن يكون المحرض أو المؤثر وتركنا خيار التحديد مفتوحاً، إذ ربما

يرى بعضهم أن هناك أكثر من طرف أو يقترح غير الذي ورد، وبعملية إحصائية وفق الرقم الموزون (أي إحصاء التكرارات لكل خيار) جاءت النسب على الشكل التالي:

**جدول رقم 2: توزع مستجوبين لبنانيين بحسب اختيارهم للعامل المؤثر في التحريض:**

| الخيار / المؤثر | الرقم الموزون |
|---|---|
| رجال السياسة | 86 |
| القيمون على الوسائل الاعلامية ... | 62 |
| رجال الدين | 44 |
| قادة الاحزاب العقائدية | 38 |
| آلمدارس والجامعات | 12 |
| غيره | 10 |

ثمة مقولة: «**السياسة لغز يقضي الشعب عمره في حله وعندما يجده الويل عندئذ للساسة**» في بلد كلبنان تكون السياسة لدى بعض رجالها لعبة إستهواء لأستقطاب الأنصار وحشد التأييد مهما غلت التضحيات، بل واقعها في أن تناصر وتعلن وأن يُستلزم المؤيدين بالوظائف وتقديم الخدمات. وهذا ما يمجّه الكثير من مستجوبي العينة إذ ربما أدرك (86 مستجوباً) هذا اللغز فأعتبروا أن العلة تكمن في القادة

الذين يسوسون جماهيرهم نحو التقوقع عبر اطلاق خطابات التوجس من الاخر ليصبح مع الوقت الإتباع على دين ملوكهم يوالوهم سواء على خطأ أو على صواب وهو نفسه التعصب الأعمى أو ما يعرف بالرأي العام المنقاد ـ وبحسب التعريف - هو الرأي الذي ينقاد لمن يوجهه، سواء كان قائداً أو وسيلة إعلامية أو غيرها، هؤلاء يتأثرون بما يقال لهم أو يُذاع أو يُنشر حتى أنهم يتقبلون الشائعات لمجرد أن قيلت عن مرجعهم.. ولكن لماذا حل الساسة والإعلام ورجال الدين في أعلى المراتب؟ إلمَ ترجع أسباب تفاقم الحالة الطائفية بشتى صورها؟ يُرجع بعض المحلّلين السبب إلى:

**أولاً:** تسييس المؤسسات الدينية ومحاولتها السيطرة على الواقع الديني، والقضاء على أي منافسة إجتماعية ممكنة، مثل تلك السيطرة أفقد هذه المؤسسات مشروعية الفعل الإجتماعي، بحيث أصبح رجال الدين التابعون لها يفتقدون إلى المصداقية وسط الجماهير، بوصفهم متهمون دائماً بترويج أفكار الساسة أو الجماعة أو المصلحة الخاصة وليس الدين بحد ذاته. وبالتالي تم إقصاء أي خطاب قد يبدوا معتدلاً من العقل المجتمعي، فأنتج فراغاً دينياً ضخماً.

**ثانياً:** عدم قناعة اللبنانيين بالخطاب السياسي الوطني الصريح الذي يدعوهم إلى أن يكونوا على مستوى التحديات والمواطنة والتوحد، وعدم القناعة هذه تعود الى الفشل الذريع الذي يعانون منه اقتصادياً وتعليمياً وثقافياً وتربويا مما أدى ذلك إلى انسحاب الفرد على ذاته والاتجاه نحو اللامبالاة أو يتجه وبرِدّة طفولية للفكر الإنساني نحو آمان مفتقد الى حيث الحضن «الجماعي الخاص»، مثل تلك الطفولية تستدعي العداء الفطري مع الأخر، ويصور اليه بأن هناك من سوف يهاجمه في الشئ الوحيد الذي يملكه إلا وهو دينه، لتكون المرحلة الثانية، وهي التوحد مع مجموع يشبهه، فتمارس الطقوس والشعائر الدينية بشكل مبالغ فيه يصل لدرجة وسواسية أحياناً وتحضر كل النشاطات الاجتماعية داخل السياق الديني البديل والجماعات الطائفية الصغيرة.مع غياب ملحوظ للخطاب الوطني الجامع بشكل عام.

**ثالثا:** الخطاب الطائفي المتجلي على مستوى الإعلام، يتصاعد بشكل واضح كرد فعل على الخطاب الاخر خوفاً منه أو من استخدامه بشكل عكسي، لتصبح حياتنا الدينية ضحية إعلام يداعب تضخم ذواتنا الطائفية، ويؤسس لحالة من عدم التوحد

تتركز معه مشكلة التعصب ومظاهرها في حالات العنف المدفونة داخل النفس الإنسانية وكيفية تصريفها أو تحويلها إلى موضوعات أخرى في المجتمع، ولكن التساؤل المطروح إزاء هذا الموضوع (تصريف العدوان)، هو ما الذي يدفع إلى تحديد هدف ما ينتقل صوبه العدوان دون غيره؟ بمعنى آخر: ما هو نوع الموضوع الذي تتوفر فيه الصفات لكي يصبح كبش الفداء؟ إن الدافع الأساس لتبرير التعصب وإسقاط هذه المشاعر نحو شخص ما ليصبح كبش الفداء ينبع أساساً من غريزة حفظ البقاء والتي تسمى بالعامل النرجسي (حب الذات - الأنانية)، لذا فإن الصدى الداخلي الكامن لدى المتعصب في هذا السلوك هو الدفاع عن النفس، والدفاع عن النفس يعني من الناحية السيكولوجية بقاء الوضع الشخصي النفسي الراهن كما هو، لذا فإن الشخص الذي يتخذ من التعصب درعاً له، إنما يتقي به شر الآخرين، ويسقط ما بداخله من مشاعر أليمة وهو غير قادر على التخلص منها.

إزاء هذا الواقع الماثل والإهتراء القائم على مستوى الحياة الإجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والإعلامية - ماذا يفعل المستجوب إزاء آخر يخالفه عقيدة أو ديناً أو ساسة أو فكراً وإتجاهاً حزبياً، إذا ما تعرض لإستفزاز كسؤالنا إياهم:

**3. عندما تعمد مجموعة من المنتمين لطائفة معينة بأستفزاز مشاعرك الدينية والسياسية، ما التصرف الانسب مما يلي برأيك؟**

**جدول رقم (3)**

**يبين توزع المستجوبين بحسب رد الفعل ازاء الاستفزاز**

| رقم | المواقف | الخيارات | | |
|---|---|---|---|---|
| | | مع | ضد | لا رأي |
| 1 | الرد بالمثل بتحقير شعائر الاخر | 4 % | 84 % | 16 % |
| 2 | اثير الموضوع عبر وسائل اعلام مؤيدة | 26 % | 70 % | 4 % |
| 3 | عدم اهتمام ولامبالاة | 62 % | 26 % | 12 % |
| 4 | شكوى الى مراجع دينية او امنية | 40 % | 40 % | 20 % |
| 5 | أستنكره عبر مظاهرات احتجاج | 20 % | 72 % | 8 % |

يلاحظ من معطيات هذا الجدول ثمة رفض للتحقير أو الإثارة عبر وسائل الإعلام أو الإستنكار عبر مظاهر احتجاج، وترانا نتساءل: أهو أشبه بنقد ذاتي أو مراجعة للمتغيرات القائمة حتى تجعل أحدهم يدرك بأن سوء التعاطي مع الآخر

بالإستقزاز والإستفزاز المضاد قد يوصل إلى حالة إنهيار شاملة لحالة التعايش القائمة فأستدرك غالبيتهم بأنهم ضد كل ما يسئ أو يؤذي أو يحقر أو يثيرها عبر الإعلام وفي منتدياته ومجالسه، هل استكنفنا عن إشاعة ما يفرّق حتى لا يموت التعايش فيما بيننا؟ خاصة وأن بعضهم يعيش يوميا حالة الاستفزاز والتعصب كما اشار البعض على سؤالنا اياهم: هل تعرضت لموقف ما وجدت فيه نوعاً من التعصب من قبل آخرين تجاهك ( إذا نعم ما هو ........./ لا؟ لنجد أن ما نسبته 26 % قالوا نعم... تعرضوا، مقابل ما نسبته 62 % قالوا لم يسبق ان استقزوا، فيما لا يتذكر من نسبتهم 12 % بأنه قد حصل لهم شيئا من هذا القبيل . اما عن مواقف الاستفزاز التي تعرض لها ما يقارب ثلث العينة فتتجلى في المواقف التالي:

- ✓ السخرية من مذهبي على الملآ
- ✓ عدم تسجيلي في معهد يتبع مذهب ديني بسبب التزامي بمذهب ديني آخر
- ✓ محاولة اقناع من قبل آخرين بأن اغير معتقداتي الدينية ، فأنا خاطئة بنظرهم
- ✓ تساؤلات عديدة وخاصة في مجال عملي لمعرفة

توجهاتي ومعتقداتي ( من اين انتي؟)

- ✓ عندما تقدمت لوظيفة معينة وكان هناك إمكانية قبول وعندما أدركوا ماهية طائفتي، رُفض الطلب
- ✓ شتم طائفتي ورموزها من قبل شباب شوارع
- ✓ اهانة المقدسات كالتهجم على رموز تتعلق بطائفتي (كسر التمثال/ أو تخريب صور والعبث أو تدنيس أماكن عبادة)
- ✓ منع زواجي من غير طائفة لأنه من مذهب / دين مختلف
- ✓ مقدمات نشرات أخبار محطات تلفزيونية وأخصها الجديد والمنار والمستقبل

كي نفهم أي ظاهرة نفسية فهماً جيداً متكاملاً يجب الاهتمام بمدى واسع من التفسيرات وفي إطار ذلك يقدم بعض الباحثين ما يمكن على ضوئها تفسير الاتجاهات التعصبية بين الجماعات وهي:

1) نظرية العلاقات بين الجماعات وهي نظرية إجتماعية بامتياز تركز على الواقع الاجتماعي المؤثر.

2) النظرية النفسية الإجتماعية وهي نفسية بحتة تركز بصورة أولية على العمليات العاطفية بأشكال السلوك بين الأفراد..

وإذا ما أخذنا بالاعتبار كلا النظرتين عند دراسة القوالب النمطية التي يكونها أفراد الجماعات عن بعضهم البعض نصل الى اشكال متعددة من التصورات والمواقف المتعلقة بالتحيزات..فالتحيزات المعرفية التي تصاحب المتعصب أو يعبر عنها وتتحدد المواقف بناء على توجهات جماعة والجماعة المضادة.. قد تتسم بالتصلب حيناً والتطرف حيناً آخر والعداوة والعدوان والعنف او الجمود والتجنب والمجاراة. وهذا ما عبرت عنه مواقف المستجوبين الآنفة من خلال الاشارة الى طبيعة التصرف المفترض بين الجماعات عند حدوث استفزاز فيما بينها فقد يكون تحقير كأبشع صور الرد او استنكار واحتجاج وقد يكون موقفا متعقلا بالشكوى الى مراجع معنية لتضع حدا لما يحدث...

وهذا أن دل على شئ إنما يدل على واقع التشريط الكلاسيكي الذي يحدث عند بعض المتعصبين في معادلة "السن بالسن والعين بالعين والبادي اظلم" فمثل هذا الواقع من الإشراط الإجرائي له دوراً في تعزيز ظواهر التعصب وذلك

من خلال تكوين اتجاهات تفضيل (تأييد) أو عدم تفضيل تجاه الجماعات الإجتماعية المختلفة. فالفرد يصبح متكافئ تجاه جماعته بقدر ما يقوم هو بأظهار الاتجاهات التعصبية تجاه الجماعة التي بدأت بالتحريض والتحقير، بالطبع فأن اساليب المكافأة تتعدد وتتنوع حيث اظهرت استفتاءات اسقاطية عن وجود علاقة بين شدة مشاعر العداء والانغلاق الاثني الذي تعايشه جماعة معينة عن اخرى..

وحول الإعلام والتحريض سُئل أفراد العينة:

**5- يعتبر البعض أن وسائل الإعلام هي الاكثر مجالاً للتحريض على الاتجاهات التعصبية ، أي من هذه الوسائل تعتبرها الاخطر**

**a) المدونات / المواقع الالكترونية / الفايس بوك،**

**b) الصحف**

**c) الشعارات على الجدران أو اليافطات**

**d) التلفزة،**

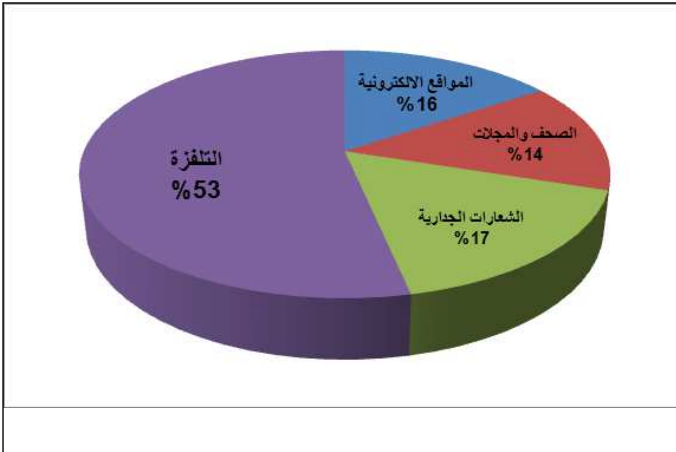
**e) غير ذلك.**

بالعودة إلى معطيات جدول رقم 2 عن أبرز اللاعبون المؤثرون بالاتجاهات وحصول وسائل الإعلام ثانيا من

التأثير ( 62 اجابة)، وبالنظر الى مواقف الاستفزاز اليومية التي يتعرض لها اللبنانيون حيث يشير بعضهم الى دور محطات التلفزة والمدونات. اردنا معرفة آراء العينة في أيّ الوسائل الإعلامية أكثرها تأثيراً ومجالا للتحريض مقدمين جملة خيارات بأعتبارها الاكثر تواصلاً وتفاعلاً لتأتي الإجابات على الشكل التالي:

**رسم بياني رقم (1) يبين توزع المستجوبين**

**بحسب رأيهم للوسائل الإعلامية الأكثر تحريضاً**



الملاحظ في هذا الرسم البياني رقم (1) ان المستجوبين اختاروا اكثر من وسيلة يمكن ان تكون الباعث على التحريض، ولكن أن تحتل التلفزة أكثرها اختيارها لسبب ما تتمتع به التلفزة من تأثير على مشاهديها لجهة امكانيات التأثير بالصوت والصورة والالوان والحركة والتكثيف الاعلاني والضغط الاخباري وبأعتبارها من اكثر الوسائل جذبا للجمهور اذ بأستطاعتها الوصول الى الجميع على اختلاف مستوياتهم العلمية والاجتماعية والاقتصادية حيث يمكن ان يكونوا اكثر استهلاكا لمضامين هذه الوسيلة.

أما لماذا التلفزة اللبنانية الاكثر تأثيرا فلأعتبار انها:

- تخدم أهدافاً سياسية حصراً،
- كونها حديث اللبنانيين "المتلقين" على مدار الساعة وهذا ما يجعلها المسؤول الأول عن تردي الشعور بالإنتماء للوطن مقابل الشعور بالإنتماء لزعيم الحزب أو الطائفة.
- لتميزها ـ كوسيلة مرئية- بجماهيرية الانتشار، قدرة على التأثير، أهمية الحاجة إليها للاستعلام، الأسلوب الخطابي السهل، واعتمادها حركية الصورة المؤثرة.

ولماذا المحطات التلفزيونية الأكثر تحريضاً فنظرا لـ:

- طول مدة مقدمة نشرة الأخبار التي تعتبر بمثابة بيان سياسي للفريق الذي تمثله المحطة
- غياب تام للموضوعية  في تغطية الأخبار
- استعمال مكثف للدراما الإجتماعية ومأساة المواطنين خدمة للسياسة
- تشويه متعمد للحقائق في معظم الأوقات وفق قاعدة: تغليف الانكار بتأكيد معين
- اعتمادها منبراً  لأغراضها السياسية الخاصة والغير سياسية على حساب المصلحة العامة.

إلى جانب التلفزة والشعارات الجدارية كأعلام محرض تأتي مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفايس بوك كواحدة من الأساليب التي يستخدمها الشباب اللبناني  للتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم العقائدية وبدورها هي تفاوتت من حيث الحدة التعصبية من خلال اللعب على الكلام أو «دبلجة» صور ورموز وشعارات أن دلت على شئ إنما تدل على مزاج لبناني محكوم بأيديولوجيا حادة التباين بأمتياز وفيما يلي بعضا من معالم هذا المزاج - الإيديولوجيا والتي اقتطفتها بجولة على مواقع إلكترونية تنسب إلى أشخاص وهميين وأن كان ما يرد في مضمونها ينبئ عن من يقف ورائها:


الشعب
يريد
٧
أيار
جديد


BOYCOTT


تيار المستقبل
WE ARE COMING
التيـــار الوطنـــي الحـــر

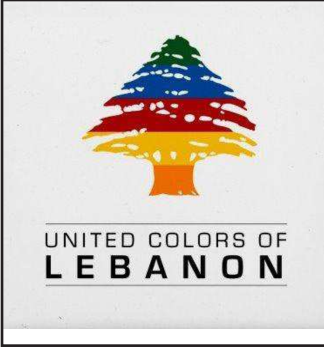



ما منسى
والسما زرقا
تيار المستقبل
حارقين سماكم
والشمس صفرا
حزب الله


١٤ آذار


Part I







خبر عاجل

أعلنت وزارة الصحة الدولية عن فشل
العملية الجراحية لفصل 4 توائم لبنانيين
"مسيحي" و"سني" و"شيعي" و"درزي"
بعد أن إكتشف الأطباء أن لهم "قلباً" واحداً
لا يمكن تقسيمه للأبد والتوائم بحالة ممتازة

Hayda Baladna Lebnen

بمناسبة الإستقلال ... ملاحظة زغيرة

البعث

المرده

UNITED COLORS OF MARCH 8th

انا فكري بمناسبة هالعيد المجيد لإستقلال لبنان
بركي بتزرعولكن شي أرزة زغيرة بشي علم من أعلامكن
هاي إذا ما في تِقلة
إلّا إذا المناسبة ما بتعنيلكن !

التوقيع أرزة مع أحمر بالخط العريض






هناك العديد من الأمثلة على الإعلام الذي يتم استخدامه لتقسيم المجتمعات ضد نفسها ولإثارة مشاعر الكراهية تجاه الأقليات ونشر العنف الجماعي بشكل مباشر. فمثلاً، تعد الحرب في دولة يوغوسلافيا السابقة والإبادة الجماعية في رواندا من ضمن أكثر الأمثلة حدة وشهرة على أن الإعلام من الممكن أن يلعب دورًا مهمًا في انقسام المجتمعات متعددة العرقيات من خلال إثارة مشاعر الكراهية العرقية، وفي جميع المجتمعات عبر مختلف أنحاء العالم وبدون أي استثناء، من الممكن أن تتسبب مشاعر التعصب والتحامل وسوء الفهم الناتجة عن الإعلام في ظهور مستويات متعددة من المشاكل والعراقيل. في الغالب الأعم، تتم تغطية التنوع بشكل غير جيد، ليس بسبب وجود برامج سياسية معينة، بل بسبب عدم وعي الصحفيين بتأثيراته، أو عدم كونهم على مستوى جيد من

المهنية للتعامل معه على النحو الفعال. بالإضافة إلى ذلك، غالبًا ما تعمل المؤسسات الإعلامية في إطار بعض القيود الاقتصادية التي تُصعِّب عليها تحقيق التوازن بين واجبها في توضيح التنوع الاجتماعي على نحو جيد وبين الحاجة إلى المحافظة على الجمهور الكبير السائد.

في سوسيولوجيا الأعلام هناك معنى في الحالة الإتصالية للشعارات والكتابات والموقف النفسي الإجتماعي للناس إزائها، وفق معادلة متعددة الأطر وغير نهائية، ذلك أن العلاقة مع أي خبر مثلاً أو أيّ مضمون شعار يضع متلّقيه دائما أمام تحليلات تفصيلية لما يرد فيه، فإذا كان المضمون مطابقاً لأستعدادت المُستقبل يكون تأثيره أكبر، كما- ومن جهة أخرى - أن درجة تأثير «المضمون المعتمد» (سواء كان خبراً / أو شعاراً/ أو خطاباً) يجب ان يتناسب مع عدد من الوقائع الموجودة في وسيطه التقني، فقد تبين مثلا أن من الاتصالات ما يمكن أن يتكرر خمس مرات دون أن يثير أي ردة فعل، لأن هناك فرضية جدلية في خط اتصال الشعارات والكتابات الجدارية والالكترونية وتأثيراتها ملخصها الآتي: كلما كان حضور المواطن مؤثرا في قضايا الشأن العام

كلما أمتد تأثره وتأثيره في الآخرين عبر الفضاء الإتصالي، وكلما انحصرت مساهمة المواطن وضاقت مكانته في الفضاء العام كلما انكمش وتقلص أداء الفضاء الإتصالي. وهذا بدوره عامل نفسي، أذ عندما يمس الخطاب مشاعر الناس (يتوجه اليها او ينطلق منها) يصبح للرسالة/ الشعار بُعدا تأثيرّيا هاما في الآخر، وكأنّ المطلوب هنا جعل الآخر مشاركا له في الانطباع، مثل هذه الشراكة العاطفية قد توّلد بدورها جوا خاصا يلتقي عنده أصحاب الشعار "كجمهور نفسي"، وبناء عليه ايّاً كان نوعية الافراد الذين يكتبون الشعار أو يرفعونه، وأيّا كان نمط حياتهم متشابها أو مختلفا فأن هدفهم أيجاد نوعا من الروح الجماعية، ومثل هذه الروح تجعلهم يتحركون ويحسون ويفكرون ككينونة ووحدة عقلية مشتركة.

وبما ان هناك وسائل تعمل على التفرقة والتحريض وتعزز من الاتجاهات التعصبية كان لا بد من الوقوف على معرفة رأي العينّة بالأساليب الممكنة للخروج من هذه الحالة المتعصبة.. فقدمنا جملة أسئلة أبرزها:

**6- اي مـن الوسـائل الممكنـة التاليـة التـي تراهـا مناسـبة**

**للحد من التجييش والتحريض ( اختر افضلها)**

a) لقاءات التواصل والحوار بين جميع المذاهب والطوائف

b) التجنب وعدم الاختلاط منعا للحساسيات

c) عدم نشر اية مواد اعلامية مستفزة

d) تعزيز ثقافة المواطنة على حساب الطائفة في البيت والمدرسة والمنتديات

لتشير المعطيات بالنسب التالية:

**جدول رقم (4)**

**يبين توزع المستجوبين بحسب رأيهم في اساليب الحد من التحريض**

| وسائل الحد من التحريض | عدد تكرار الخيارات المفضلة |
|---|---|
| لقاءات الحوار بين المذاهب والاحزاب | 70 |
| التجنب وعدم الاختلاط منعا للحساسيات | 6 |
| عدم نشر احداث او برامج اعلامية مستفزة | 42 |
| تعزيز ثقافة المواطنة | 40 |
| غيره | 4 |

يبدو ان الحاجة ملحة لايقاف دواع التنازع والحرص على التعايش والتواصل بكافة السبل المتاحة لما يمكن ان يحدثه التشنج والتحريض من تداعيات غير محمودة وعليه يجد المستجوبين بدا من ضرورة الالتقاء والحوار والتفاهم لتجنب الصراعات للوصول نحو وطن آمن ولعلها امنية نصف اللبنانيين (48 %) ان لم نقل غالبيتهم الذين يدركون خطورة مآسي التباعد ويقرون بأهمية العيش المشترك والسلام والاستقرار. فأهمية اللقاءات والحوار والنشر الاعلامي الصحيح عن الاخر تدرج ضمن "فرضية الاتصال» (كأحدى الاوليات الممكنة للحد من التعصب والتمييّز) لان عزلة اللبنانيين عن بعضهم البعض وجهلهم بما لدى ألاخرين لا يوفران لهم فرصة التحقق من سلامة تفسير الواحد منهم لسلوك الآخر.

ولأن تفسير سلوك الآخر يتسق في الغالب مع الصورة النمطية (السلبية) المحمولة في الذهن عن ذلك الشخص، فإن تلك الصورة ستتقوى في المحصلة النهائية. وبالمثل فإننا حين نجهل أسباب سلوك أعضاء جماعة معينة على النحو الذي يسلكون به، فإننا على الأرجح سنتخيّل أنهم يختلفون عنا أكثر مما يختلفون عنا في واقع الأمر. لهذا يجد باحثو علم النفس

تفسيره بظاهرة تسمى بـ «العداء الإنعزالي» (أو الناجم عن العزلة) (Hostility Autistic) او ما يسميه "برونفنبرنر" (Bronfenbrenner, 1960) بـ "ظاهرة المرآة والصورة". حيث ينظر كل من الفريقين المتعاديين إلى أنفسهم على أنهم على صواب (ويرى كل طرف أن الله يقف إلى جانبه)، وأن الآخرين على باطل. وانسجاما مع ذلك فإن كلاً من الطرفين يعزو إلى أعضاء الفريق الآخر جميعهم الصفات السلبية ذاتها (إنطلاقاً من الإعتقاد باختلاف الجماعة الأخرى عنا). غير أن تعزيز فرص الإتصال بين الجماعات المتنابذة يمكن أن يحد من التعصب والتمييّز

ولكن الإتصال بحد ذاته ليس كافياً للحد من التعصب، إذ أنه قد يقود أحيانا إلى زيادة التعصب لا إلى الحد منه. فعلى الرغم من وجود أدلة على أن زيادة الإتصال تزيد من الألفة، وعلى أن زيادة الألفة تقود إلى المودة، إلا أن هذه القاعدة تتطلب اتصالا بين من هم متكافئون في المكانة، وحين يجري الإتصال على الدوام بين غير المتكافئين فإن الألفة عندئذ قد تقود إلى النفور. وقد أبدى «أرنسون» (Aronson, 1980) ملاحظة هامة في هذا الإطار لفت النظر فيها إلى أن الأمريكيين البيض كانوا على اتصال مستمر مع السود، ولكن

أولائك السود كانوا مجرد غاسلي أطباق، ومنظفي مراحيض، وخدم منازل وما إلى ذلك، والإتصال الذي يجري في ظل هذه المعطيات لا يفضي إلا إلى تعزيز الصور النمطية التي يحملها البيض عن السود، والتي تضع السود في المنزلة الدنيا. وبالمثل يذهب "أولبورت" أول من تصدى لهذه القضايا من بين علماء النفس الإجتماعي، وبناء على فرضية الإتصال التي جاء بها حول التعصب (ما لم يكن متأصلا في البنية الشخصية للفرد) إنه يمكن الحد منه بإجراء الإتصال المتكافئ بين جماعة الأكثرية وجماعة الأقلية في مسعى تحقيق أهداف مشتركة. ويتعزز هذا التأثير إلى حد بعيد حين يلقي الإتصال دعما مؤسسياً (عن طريق القوانين أو الأعراف أو الجو المحلي مثلا)، وشريطة أن يكون من النوع الذي يؤدي إلى إدراك المصالح الإنسانية المشتركة بين أعضاء الجماعتين.

إن أحد الأسباب التي تجعل زيادة الإتصال بين الجماعات المتنابذة عاملا فعالا في الحد من التعصب والتمييز هو أن كثرة الإتصال تجعلهم يدركون أنهم متشابهون في الواقع أكثر مما هم مختلفون. فرؤية الناس للتشابه فيما بينهم تقود إلى زيادة الود والتجاذب. وثمة سبب آخر يجعل الإتصال ذا فائدة يكمن فيما يسميه "زايونس" (Zajonc, 1968) بتأثير

تكرار المشاهدة (مجرد التعرض) ويتمثل هذا التأثير بتطوير مشاعر الألفة والمودة لدينا إزاء مثيرات معينة لمجرد مشاهدتنا المتكررة لها، فمع هذه الفرص – المثيرات لا تهيّأ فقط للإتصال الودي بين جماعتين وانما قد يتيح المجال لدحض الصور النمطية التي يحملها أعضاء هاتين الجماعتين عن بعضهما البعض. كذلك يمكن لزيادة الإتصال أن تحد من رؤيتنا لوجود عدم تماثل تام بين أعضاء الجماعة الخارجية (ألاخر) والداخلية ( الانا) لأن تكرار الإتصال يزيل النظرة إلى أولائك الأعضاء كغرباء مخيفين لنا أو مختلفين عنا.

## على ما تقدم

كثر الحديث منذ الثمانينات عن نهضة دينية في مختلف الاثنيات، راجت في الوقت ذاته معها استخدام مصطلح "الاصولية" الملتبس على نحو يربط بين الوان متعددة من حركات توكيد الأنا الجماعية كتوكيد للهوية الخاصة، ومع شيوع هذه النهضة وبروز الاصولية وتنامي قيام الحركات الاثنية ذات النفح الديني اخذت تبرز الى العلن شعارات اهل التشدد في التقوى وجماعة التمسك بالعقيدة على نحو لا يخلو من الدعوة الى انكار ما لدى الاخر (أو الغائه) حتى توقع كثيرون ان مثل هذه الشعارات- الخطاب قد تفضي الى حالات عنف مجتمعي ..عملا البنوءة التي جاء بها أحد المفكرين بأن العقود القادمة هي عقود الصدام بين الحضارات، قد تتجلى على صورة حروب دينية ومذهبية وترتسم معها حدود الاديان والمذاهب والفرق والملل بشكل صارخ.

**إزاء هذه النبوءة الفكرية أخذ العلمانيون يحذرون من موجات تطرف وتعصب عاتية ليس نتيجة ازدياد الطلب على الروحانية وإنما رغبة نحو التمركز الاثني والاحتياج إلى معالم الأنا المخصوصة ثقافياً وعقائدياً واجتماعياً وحتى ذهنياً .. ويحضرنا هنا مثال ما يجري في لبنان من سجال تزيد حدته عند الحدود المتعاظمة لتأثير الذهنية الطائفية على المجتمع بأسره برز معها الى العلن انزعاج فئات من ابنائه لتنامي "النعرة" الطائفية ـ المذهبية وخوف على الحرية والعيش المشترك**

**من هنا تأتي ظاهرة المنحى التعصبي في لبنان مجازفة محفوفة بالمخاطر ولا يخفف منها الا:**

- **تحاشي الغوص في المشاريع السياسية المسوغة بأسم الدين**
- **التحرر من اتجاهات التدين الصلب**
- **انفتاح الخصوصيات والتي تشكل هويات الافراد والجماعات والعمل جميعها على محاربة الخوف من الذوبان والتجانس او مصادرة الذي يهدد به الجميع انفسهم لانفسهم .**
- **السير وفق اتجاهات تدّين مرن صادر عن عقل نيّر من أشخاص/ هيئات/ جماعات وقبل كل شيء عن**

**"مرجعيـــات" قوامهـــا دفء العلاقـــة مـــع الآخـــر واحـــترام مســـاحة التنـــوع**

**يقول فرويد « كل امرئ ينتمي إلى عدة أرواح جماعية: روح عرقه، روح طبقته وروح طائفته». وعليه يظهر المزاج اللبناني: كذاكرة شعبية قائمة على مقولات إيديولوجية خاصة تستحضر أحداث وتجارب من الماضي بغية مخاطبة الاخر في الحاضر وكنزق انفعالي يظهر في الميل نحو السلطة والسيطرة والعراك.. وهذا ما يجعله أكثر كمنظومة فكرية تقوم على صورة جوهرية هي صورة النحن الفوقية  إزاء الآخر المختلف.**

**وبعد هل يمكن الركون الى ما ورد في القاموس الدولي (larousse) من تفسيره لمفهوم اللببنة (lebanisation) على أنه السلم الاهلي وشعاراته والذي يبقى سلما باردا، وان الطوائف اللبنانية تستمر في رفضها للآخر في زمن السلم كما في زمن الحرب، لكن الفارق النوعي بين الرفضين هو في الشكل وليس في المضمون، هو رفض مضمر في زمن السلم ورفض علني في زمن الحرب...أم ثمة ما يناقض هذا التفسير؟**

## الهوامش:

1. **مصطفى حجازي، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الاصولية، المركز الثقافي العربي، بيروت 1998**
2. **ناصيف نصار، اضواء على التعصب، دار امواج، بيروت، 1991**

(*)**الاتجاهات التعصبية / سلسلة عالم المعرفة/ اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت/ ايار 1989)**

(**) **سيكولوجية التعصب/ ترجمة د.خليل احمد خليل/ دار الساقي/ بيروت/1990**

3. **حامد زهران.. علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت ،**
4. انظر اطروحة: **الاتجاهات التعصبية والدينية عند الشباب الجامعي ( الجامعة اللبنانية/ 2010)، رجوى فيتروني، وأخريات كلية الصحة العامة، الجامعة اللبنانية، زحلة، 2010**
5. **ريجيس دوبريه ، علم الاعلام العام، الميديولوجيا ، ترجمة فؤاد شاهين وجورجيت الحداد، دار الطليعة، بيروت، 1996**
6. **نزار عيون السود، علم النفس الاجتماعي وقضايا الاعلام والدعاية،، دار دمشق للطباعة والنشر، تاريخ النشر غير مذكور**

(***) يلاحظ ان **اللون الاخضر خاص للجماعة الاسلامية وتيار المردة، والاصفر لجمعية المشاريع الاسلامية وحزب الله، الاسود لحركة امل والحزب السوري القومي الاجتماعي ،**

الاحمر للتقدمي الاشتراكي والشيوعي، البرتقالي للتيار الوطني الحر، الازرق لتيار المستقبل، الابيض للكتائب والقوات اللبنانية

7. د.احمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الاعلام والدعاية والتنمية، وكالة المطبوعات، الكويت،1982

8. د.ملحم شاوول، طيف الشعارات والالوان في شوارع بيروت، 14march.www.news/org

9. صحيفة السفير اللبنانية / 10/5/2011

10. د.مامون طربيه، ظاهرة الفايس بوك عند الشباب اللبناني، مجلة التنمية والاتصال، دار النهضة العربية، بيروت، العدد 4 كانون الثاني 2012

11. انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2005

12. أنتوني غدنز، المرجع نفسه.

# الفهرس